

# فروج العيب

عبد القادر الجيلاني



Version 1.2 / June, 2023

# فتوح الغيب

عبد القادر الجيلاني





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الامام العالم العلامة الزاهد العابد الورع شيخ  
المناجح تاج العارفين وحجة السالكين حجة الاسلام قطب الانا  
ناصر السنن فاطح البدع تكتن التريفة وزين المحفظة وعلم الطريقة  
سيد الاولياء واعام الاصفيا ومصباح الانبياء وسراج اهل التقا  
والنقا الشيخ محي الدين ابو محمد عبد الفادر بن ابي صالح موسي  
الجليل بسط ابي عبد الله محمد الصومعي قدس الله روحه ونور ضريحه  
وخرنا في زمزمه واورنا على مجتده ودفعنا ببركته وبكلامه في الدنيا  
والآخرة آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما  
كثيرا والحمد لله رب العالمين في جملة من تعلق بقول الشيخ اولها  
تاسع رجب يوم الجمعة واخرها رابع عشرين من شهر رمضان سنة  
ست واربعين وخمسمائة **يا غلام** اباك والحسد فان ينس القرين وهو  
الذي يخر بيت ابليس واهلكه وجعله من اهل النار جعل مله  
الحق وبلائه كثيرة وانبيائه وخلق كبريائه باق ان يحسد وقد  
سمع قوله تعالى نحن قسمنا بيتهم معيشتهم في الحيف الدنيا وقوله  
تعالى لم يحسدوك الناس على ما اناهم الله من فضلهم وقول النبي  
صلى الله عليه وسلم الحسد باكل الحسنة كما تاكل النار الحطب وقوله  
بعض العلماء الله ذو الحسد ما اعد له بدا بصاحب فقتله والحاسد  
معاند لله تعالى لان نبأ ربه في فعله وفي خلقه فيقصم ابي ابي  
الشيخ قدس الله سره زاهد في كلامه وفيكم وفي ما في بيوتكم من ضلالتكم  
واموالكم وهذا ياكم فادمن على هذا فتنتفعلوا بكلام الله  
ما دام عين المتكلم في عيالكم وقصصكم وجيوبكم لا تنتفعوا بكلام  
ما دام يثره على خائكم ويطلع فيكم يكون كلامه في القلب فيه عظم

## مقدمة المؤلف

قال الشيخ عبد الرزاق ولد المؤلف: قال والدي رحمته الله، مؤيد الأئمة سيد الطوائف أبو محمد محي الدين عبد القادر الجيلاني الحسيني الحسيني الصديقي، ابن أبي صالح موسى جنكي دوست ابن الإمام عبد الله ابن الإمام يحيى الزاهد ابن الإمام محمد ابن الإمام داود ابن الإمام موسى ابن الإمام عبد الله ابن الإمام موسى الجون ابن الإمام عبد الله المحض ابن الإمام الحسن المثنى ابن الإمام أمير المؤمنين سيدنا الحسن السبط ابن الإمام الهمام أسد الله الغالب، فخر بني غالب، أمير المؤمنين سيدنا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وعنهم أجمعين آمين:

الحمد لله رب العالمين أولاً وآخرأ وظاهراً وباطناً، عدد خلقه ومداد كلماته، وزنة عرشه ورضاء نفسه، وعدد كل شفع ووتر، ورطب ويابس في كتاب مبين، وجميع ما خلق ربنا وذراً وبرأ، خالق بلا مثال أبداً سرمداً طيباً مباركاً، الذي خلق فسوى وقدر فهدى وأمات وأحى وأضحك وأبكى وقرب وأدنى وأرحم وأخزى وأطعم وأسقى وأسعد وأشقى ومنع وأعطى، الذي بكلمته قامت السبع الشداد، وبها رست الرواسى والأوتاد واستقرت الأرض المهاده، فلا مقنوطاً من رحمته، ولا مأموناً من مكره وغيرته وإنفاذ أقضيته وفعله وأمره، ولا مستنكفاً عن عبادته، ولا مخلواً من نعمته، فهو المحمود بما أعطى، والمشكور بما زوى، ثم الصلاة على نبيه المصطفى محمد رحمته الله، الذي من اتبع ما جاء به اهتدى ومن صدف عنه ضل وارتدى، النبي الصادق المصدوق، الزاهد في الدنيا، الطالب الراغب في الرفيق الأعلى، المجتبي من خلقه، المنتخب من بريته، الذي جاء بالحق بمحبته، زهق الباطل بظهوره، وأشرقت الأرض بنوره.

ثم الصلوات الوافيات والبركات الطيبات الزاكيات المباركات عليه ثانياً وعلى آله الطيبين، وأصحابه والتابعين لهم بإحسان الأحسنين لربهم فعلاً، الأقومين له قِيلاً، والأصوبين إليه طريقاً وسبيلاً، ثم تضرعنا ودعأؤنا ورجوعنا إلى ربنا، ومنشئنا وخالقنا ورازقنا، ومطعمنا ومسقينا،

ونافعنا وحافظنا، وكالتنا ومحيينا، والذاب والدافع عنا جميع ما يؤذينا ويسوءنا، كل ذلك برحمته وتحننه وفضله وامتته بالحفظ الدائم في الأقوال والأفعال في السر والإعلان، والإظهار والكتمان والشدة والرخاء والنعمة والبأساء والضراء، إنه فعال لما يريد والحاكم بما يشاء، العالم بما يخفى المطلع على الشؤون والأحوال، من الزلات والطاعات والقربات، السامع للأصوات المجيب للدعوات، لمن يشاء من غير تنازع وتردد.

أما بعد:

فإن نعم الله على كثيرة متواترة، في آناء الليل وأطراف النهار والساعات واللحظات والخطرات وجميع الحالات، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا<sup>ق</sup>﴾ إبراهيم ٣٤ . وقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ النحل ٥٣ . فلا يدان لى ولا جنان ولا لسان فى إحصائها وأعدادها، فلا يدركها التعداد ولا تضبطها العقول والأذهان، ولا يحصيها الجنان ولا يعبرها اللسان. فمن جملة ما مكن عن تعبيرها اللسان، وأظهرها الكلام وكتبها البنان وفسرها البيان، كلمات برزت وظهرت لى من فتوح الغيب فحلت فى الجنان، فأشغلت المكان فأنتجها وأبرزها صدق الحال، فتولى إبرازها لطف المنان، ورحمة رب الآنام فى قالب صواب المقال، لمريدى الحق والطلاب.



## المقالة الأولى

### فيما لا بد لكل مؤمن

قال ﷺ: لا بد لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء: أمر يمتثله ونهى يجتنبه وقدر يرضى به، فأقل حالة المؤمن لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة، فينبغي له أن يلزم همها قلبه، وليحدث بها نفسه، ويؤاخذ الجوارح بها في سائر أحواله.

\* \* \*

## المقالة الثانية

### في التواصي بالخير

قال ﷺ: اتبعوا ولا تبندعوا، وأطيعوا ولا تمرقوا، ووحدوا ولا تشركوا، ونزهوا الحق ولا تنهوا، وصدقوا ولا تشكوا، واصبروا ولا تجزعوا، واثبتوا ولا تنفروا، واسألوا ولا تسأموا، وانتظروا وترقبوا ولا تيأسوا، وتواخوا ولا تعادوا، واجتمعوا على الطاعة ولا تتفرقوا، وتحابوا ولا تباغضوا، وتطهروا عن الذنوب وبها لا تدنسوا ولا تتلطحوا، وبطاعة ربكم فتزينوا، وعن باب مولاكم فلا تبرحوا، وعن الإقبال عليه فلا تتولوا، وبالتوبة فلا تسوفوا، وعن الاعتذار إلى خالقكم في آناء الليل وأطراف النهار فلا تملوا، فلعلكم ترحمون وتسعدون، وعن النار تبعدون، وفي الجنة تحبسون، وإلى الله توصلون، وبالنعيم وافترضوا الأبرار في دار السلام تشتغلون، وعلى ذلك تخلصون، وعلى النجائب تركبون، وبحور العين وأنواع الطيب وصوت القيان مع ذلك النعيم تحبسون، ومع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ترفعون.



## المقالة الثالثة

### في الابتلاء

قال ﷺ: إذا ابتلى العبد ببليّة تحرك أولاً في نفسه بنفسه، فإن لم يتخلص منها استعان بالخلق كالسلاطين وأرباب المناصب وأرباب الدنيا وأصحاب الأحوال وأهل الطب في الأمراض والأوجاع، فإن لم يجد في ذلك خلاصاً رجع إلى ربه بالدعاء والتضرع والثناء. ما دام يجد بنفسه نصرة لم يرجع إلى الخلق، وما دام يجد به نصرة عند الخلق لم يرجع إلى الخالق، ثم إذا لم يجد عند الخلق نصرة استطرح بين يديه مديماً للسؤال والدعاء والتضرع والثناء والافتقار مع الخوف والرجاء، ثم يعجزه الخالق عز وجل عن الدعاء، ولم يجبه حتى ينقطع عن جميع الأسباب، فحينئذ ينفذ فيه القدر ويفعل فيه الفعل، فيفنى العبد عن جميع الأسباب والحركات، فيبقى روحاً فقط، فلا يرى إلا فعل الحق فيصير موقناً موحداً ضرورة يقطع أن لا فاعل في الحقيقة إلا الله لا محرك ولا مسكن إلا الله ولا خير ولا ضر ولا نفع ولا عطاء ولا منع، ولا فتح ولا غلق، ولا موت ولا حياة، ولا عز ولا ذل إلا بيد الله فيصير في القدر كالطفل الرضيع في يد الطئر والميت الغسيل في يد الغاسل والكرة في صولجان الفارس، يقلب ويغير ويبدل، ويكون ولا حراك به في نفسه ولا في غيره فهو غائب عن نفسه في فعل مولاه، فلا يرى غير مولاه وفعله، ولا يسمع ولا يعقل من غيره إن بصر وإن سمع وعلم، فلكلامه سمع، ولعلمه علم، وبنعمته تنعم، وبقربه تسعد، وبتقريبه تزين وتشرف، وبوعده طاب وسكن، به اطمأن وبحديثه أنس وعن غيره استوحش ونفر، وإلى ذكره التجأ وركن، وبه عز وجل وثق وعليه توكل، وبنور معرفته اهتدى وتقمص وتسربل، وعلى غرائب علومه اطلع، وعلى أسرار قدرته أشرف، ومنه سمع ووعى، ثم على ذلك حمد وأثنى وشكر ودعا.





## المقالة الرابعة

### في الموت المعنوى

قال ﷺ: إذا مت عن الخلق قيل لك: رحمك الله وأماتك عن الهوى. وإذا مت عن هواك قيل: رحمك الله وأماتك عن إرادتك ومناك. وإذا مت عن الإرادة قيل: رحمك الله وأحيأك حياة لا موت بعدها. وتغنى غنى لا فقر بعده وتعطى عطاء لا منع بعده، وتراح براحة لا شقاء بعدها، وتنعم بنعمة لا بؤس بعدها، وتعلم علماً لا جهل بعده، وتؤمن أمناً لا خوف بعده، وتسعد فلا تشقى، وتعز فلا تذلل، وتقرب فلا تبعد، وترفع فلا توضع، وتعظم فلا تحقر، وتطهر فلا تدنس، لتحقق فيك الأمانى، وتصدق فيك الأقاويل، فتكون كبريتاً أحمر فلا تكاد ترى، وعزيزاً فلا تماثل، وفريداً فلا تشارك، ووحيداً فلا تجانس، فرداً بفرد ووتراً بوتر، وغيب الغيب، وسر السر، فحينئذ تكون وارث كل نبي وصديق ورسول، بك تختم الولاية وإليك تصير الأبدال وبك تنكشف الكروب، وبك تسقى الغيوث، وبك تنبت الزروع، وبك يدفع البلاء والمحن عن الخاص والعام وأهل الثغور والراعي والرعايا، والأئمة والأمة وسائر البرايا، فتكون شحنة البلاد والعباد، فتنتقل إليك الرجل بالسعى، والرجال والأيدى بالبذل والعطاء والخدمة بإذن خالق الأشياء فى سائر الأحوال، والألسن بالذكر الطيب والحمد والثناء وجمع المجال، ولا يختلف فيك اثنان من أهل الإيوان، يا خير من سكن البراري وجال بها ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الحديد ٢١ .

\* \* \*

## المقالة الخامسة

### فى بيان الدنيا والحث على عدم الالتفات إليها

قال ﷺ: إذا رأيت الدنيا فى يدى أربابها بزييتها وأباطيلها وخداها ومصائدها وسمومها القتالة، مع لين مس ظاهرها، وضراوة باطنها وسرعة اهلاكها، وقتلها لمن مسها واغتر بها وغفل عن وليها وعيرها بأهلها ونقض عهدها، فكن كمن رأى إنساناً على الغائط بالبراز

بادية سوائته وفائحة رائحته، فإنك تغض بصرك عن سوائته، وتسد أنفك من رائحته ومنتنه، فهكذا كن في الدنيا، إذا رأيتها غض بصرك عن زينتها، وسد أنفك عما يفوح من روائح شهواتها ولذاتها، فتنجو منها ومن آفاتهما، ويصل إليك قسمك منها وأنت مهناً، قال الله تعالى لنبيه المصطفى ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبَّنَا خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ طه ١٣١ .

\*\*\*

### المقالة السادسة

## في الفناء عن الخلق

قال ﷺ: افن عن الخلق بإذن الله تعالى، عن هواك بأمر الله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ المائدة ٢٣، وعن إرادتك بفعل الله تعالى. وحينئذ تصلح أن تكون وعاء لعلم الله تعالى، فعلامة فنائك عن خلق الله تعالى انقطاعك عنهم وعن التردد إليهم واليأس مما في أيديهم، وعلامة فنائك عن هواك ترك التكسب والتعلق بالسبب في جلب النفع والضرر، فلا تحرك ولا تعتمد عليك ولا لك ولا تذب عنك ولا تنتصر لنفسك، تكل ذلك كله إلى الله تعالى لأنه تولاه أولاً فيتولاه آخرًا، كما كان موكولاً إليه في حال كونك مغيباً في الرحم، وكونك رضيعاً طفلاً في مهدك، وعلامة فنائك عن إرادتك بفعل الله أنك لا تريد مراداً قط، ولا يكون لك غرض، ولا يبقى لك حاجة ولا مرام، فإنك لا تريد مع إرادة الله سواها، بل يجري فعل الله فيك، فتكون أنت عند إرادة الله وفعله ساكن الجوارح مطمئن الجنان منشرح الصدر منور الوجه عامر البطن غنياً عن الأشياء بخالقها، تقلبك يد القدرة، ويدعوك لسان الأزل، ويعلمك رب الملل، ويكسوك أنواراً منه والحلل، وينزلك من أولى العلم الأول، فتكون منكسراً أبداً، فلا يثبت فيك شهوة وإرادة كالإناء المنثلم الذي لا يثبت فيه مائع وكدر، فتتنقى عن أخلاق البشرية، فلن يقبل باطنك شيئاً غير إرادة الله عز وجل، فحينئذ يضاف إليك التكوين وخرق العادات، فيرى ذلك منك في ظاهر الفعل والحكم، وهو فعل الله وإرادته حقاً في العالم، فتدخل حينئذ في

زمرة المنكسرة قلوبهم الذين كسرت إرادتهم البشرية وأزيلت شهواتهم الطبيعية فاستؤنفت لهم إرادة ربانية كما قال النبي ﷺ: (حبب إلى من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة) فأضيف ذلك بعد أن خرج منه وزال عنه تحقيقاً بما أشرنا، وتقدم. قال الله تعالى في حديثه القدسي: (أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي)، فإن الله تعالى لا يكون عندك حتى تنكسر جملة هواك وإرادتك، فإذا انكسرت ولم يثبت فيك شيء ولم يصلح فيك شيء، أنشأك الله فجعل فيك إرادة، فتريد بتلك الإرادة، فإذا صرت في الإرادة المنشأة فيك، كسرهما الرب تعالى بوجودك فيها، فتكون منكسر القلب أبداً، فهو لا يزال يجدد فيك إرادة ثم يزيلها عند وجودك فيها هكذا إلى أن يبلغ الكتاب أجله، فيحصل اللقاء، فهذا هو معنى " عند المنكسرة قلوبهم من أجلي " ومعنى قولنا عند وجودك فيها هو ركونك وطمأنينتك إليها. قال الله تعالى في حديثه القدسي، الذي يرويه ﷺ: (لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها) وفي لفظ آخر " فبى يسمع ، وبى يبطش وبى يعقل " ، وهذا إنما يكون في حالة الفناء لا غير، فإذا فنيت عنك وعن الخلق، والخلق إنما هو خير وشر، فلم ترج خيرهم ولا تخاف شرهم بقى الله وحده كما كان، ففى قدر الله خير وشر، فيؤمنك من شر القدر ويغرقك في بحار خيره، فتكون وعاء كل خير، ومنبعاً لكل نعمة وسرور وحبور وضياء آمن وسكون، فالفناء والمنى والمبتغى والمنتهى حد ومرد ينتهى إليه مسير الأولياء، وهو الاستقامة التي طلبها من تقدم من الأولياء والأبدال أن يفنوا عن إرادتهم وتبدل بإرادة الحق عز وجل، فيريدون بإرادة الحق أبداً إلى الوفاة، فلهذا سموا أبدالاً رضى الله عنهم، فذنوب هؤلاء السادة أن يشركوا إرادة الحق بإرادتهم على وجه السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة، فيدركهم الله تعالى برحمته بالتذكرة واليقظة، فيرجعوا عن ذلك ويستغفروا ربهم، إذ لا معصوم عن الإرادة إلا الملائكة، عصموا عن الإرادة، والأنبياء عصموا عن الهوى، وبقية الخلق من الإنس والجن المكلفين لم يعصموا منها غير أن الأولياء بعضهم يحفظون عن الهوى، والأبدال عن الإرادة، ولا يعصمون منها على معنى يجوز في حقهم الميل إليهما في الأحيان، ثم يتداركهم الله عز وجل باليقظة برحمته.

## المقالة السابعة

### في إذهاب غم القلب

قال ﷺ: أخرج من نفسك وتنح عنها، وانعزل عن ملكك وسلم الكل إلى الله، فكن بوابه على باب قلبك، وامثل أمره في إدخال من يأمرك بإدخاله، وانته بنهيه في صد من يأمرك بصدّه، فلا تدخل الهوى قلبك بعد أن خرج منه، فاخراج الهوى من القلب بمخالفته، وترك متابعتة في الأحوال كلها، وإدخاله في القلب بمتابعتة وموافقته، فلا ترد إرادة غير إرادته، وغير ذلك منك تمن وهو وادي الحمقى، وفيه حتفك وهلاكك وسقوطك من عينه وحجابه عنك، أحفظ أبداً أمره، وانته أبداً بنهيه، وسلم لمقدوره، ولا تشركه بشيء من خلقه، وإرادتك وهواك وشهواتك كلها خلقه، فلا ترد ولا تهوى ولا تشته كيلا تكون مشركاً. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الكهف ١١٠.

ليس الشرك عبادة الأصنام فحسب، بل هو متابعتك هواك، وأن تختار مع ربك شيئاً سواه من الدنيا وما فيها والآخرة وما فيها، فما سواه عز وجل غيره، فإذا ركنت إلى غيره فقد أشركت به عز وجل غيره، فاحذر ولا تركز، وخف ولا تأمن، وفتش فلا تغفل فتطمئن، ولا تضيف إلى نفسك حالاً ومقاماً، ولا تدع شيئاً من ذلك، فإن أعطيت حالاً أو أقيمت في مقام فلا تختار شيئاً واحداً من ذلك، فإن الله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ الرحمن ٢٩، في تغيير وتبديل، وإنه يحول بين المرء وقلبه، فيزيلك عما أخبرت به، ويغيرك عما تخيلت ثباته وبقائه، فتخجل عند من أخبرته بذلك، بل أحفظ ذلك فيك ولا تعده إلى غيرك فإنه كلى الثبات والبقاء، فتعلم أنه موهبة وتسأل التوفيق للشكر واستر رؤيته وإن كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتأديب. قال الله عز وجل: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة ١٠٦، فلا تعجز الله في قدرته، ولا تتهمه في تقديره ولا تدبيره، ولا تشك في وعده، فليكن لك في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، نسخت الآيات والسور النازلة عليه المعمولة بها المقررة في المحاريب المكتوبة في المصاحف، ورفعت وبدلت وأثبت غيرها مكانها، ونقل ﷺ

إلى غيرها، هذا فى ظاهر الشرع، وأما فى الباطن والعلم والحال فىما بینه وبين الله عز وجل فكان يقول ﷺ : (إنه لیغان على قلبی فأستغفر الله فى كل یوم سبعین مرة) ویروی (مئة مرة). وكان ﷺ ینقل من حالة إلى أخرى ویسیر به فى منازل القرب ومیادین الغیب، ویغیر علیه خلع الأنوار، فتبین الحالة الأولى عند ثانیها ظلمة ونقصاناً وتقصیراً فى حفظ الحدود، فیلقن الاستغفار لأنه أحسن حال العبد، والتوبة فى سائر الأحوال لأن فیها اعترافه بذنبه وقصوره، وهما صفتا العبد فى سائر الأحوال، فهما وراثۃ من أبی البشر آدم علیه السلام إلى المصطفى ﷺ حین اعترت صفاء حاله ظلمة النسیان للعهد والميثاق، وإرادة الخلود فى دار السلام، ومجاورة الحبيب الرحمن المنان، ودخول الملائكة الكرام علیه بالتحية والسلام، فوجد هناك مشاركة إرادته لإرادة الحق، فانكسرت لذلك تلك الإرادة، وزالت تلك الحالة، وانعزلت تلك الولاية، فانهبطت تلك المنزلة وأظلمت تلك الأنوار وتكدر ذلك الصفاء، ثم تنبه وذكر صفی الرحمن، فعرف الاعتراف بالذنب والنسیان، ولقن الإقرار فقال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الأعراف ٢٣، فجاءت أنوار الهداية وعلوم التوبة ومعارفها، والمصالح المدفونة فیها ما كان غائباً من قبل، فلم تظهر إلا بها، فبدلت تلك الإرادة بغيرها والحالة الأولى بأخرى، وجاءته الولاية الكبرى والسكون فى الدنيا ثم فى العقبى، فصارت الدنيا له ولذریته منزلاً، والعقبى لهم موئلاً ومرجعاً وخلداً، فلك برسول الله وحبيبه المصطفى وأبيه آدم صفی الله عليهم الصلاة والسلام عنصر الأحباب والأخلاء أسوة فى الاعتراف بالقصور والاستغفار فى الأحوال كلها.



## المقالة الثامنة

### في التقرب إلى الله

قال ﷺ: إذا كنت في حالة لا تختار غيرها لا أعلى منها ولا أدنى، فإذا كنت على باب الملك لا تختار الدخول إلى الدار حتى تدخل إليها جبراً لا اختياراً، وأعني بالجبر - أمراً عنيفاً متأكداً متكرراً - ولا تكتف بمجرد إذن بمجرد الدخول، لجواز أن يكون ذلك منكراً وخديعة من الملك، لكن اصبر حتى تجبر على الدخول فتدخل الدار جبراً محضاً وفضلاً من الملك، فحينئذ لا يعاقب الملك على فعله، إنها تتعرض العقوبة لك لشؤم تخيرك وشريك، وقلة صبرك وسوء أدبك، وترك الرضى بحالتك التي أقمت فيها، فإذا حصلت فكن مطرقاً غاضاً لبصرك متأدباً، محافظاً لما تؤمر به من الشغل والخدمة فيها غير طالب للترقي إلى الذروة العليا، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَدْنِ عَيْنُكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ طه ١٣١، فهذا تأديب منه عز وجل لنبيه المختار ﷺ في حفظ الحال والرضا بالعطاء بقوله: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ طه ١٣١، أى ما أعطيتك من الخبر والنبوة والعلم والقناعة والصبر وولاية الدين، والعروة فيه أولى مما أعطيت وأخرى، فالخير كله في حفظ الحال والرضا بها وترك الالتفات إلى ما سواها، لأنه لا يخلو إما أن يكون قسمك أو قسم غيرك، أو أنه لا قسم لأحد بل أوجده الله فتنة، فإن كان قسمك وصل إليك شئت أم أبيت فلا ينبغي أن يظهر منك سوء الأدب والشره في طلبه، فإن ذلك غير محمود في قضية العلم والعقل، وإن كان قسم غيرك فلا تتعب فيما لم تناوله ولا يصل إليك أبداً، وإن كان ليس بقسم لأحد بل هو فتنة فكيف يرضى للعاقل ويستحسن أن يطلب لنفسه فتنة ويستجلبها لها، فقد ثبت أن الخير كله والسلامة في حفظ الحال، فإذا رقيت إلى الغرفة ثم إلى السطح فكن كما ذكرنا من الحفاظ والإطراق والأدب، بل يتضاعف ذلك منك، لأنك أقرب إلى الملك وأدنى بالخطر، فلا تتمن الانتقال منها إلى أعلى منها ولا إلى أدنى، وثباتها وبقائها، ولا تغير وصفها وأنت فيها، ولا يكون لك اختيار ألبته، فإن ذلك كفر في نعمة الحال والكفر يحل بصاحبه الهوان في الدنيا والآخرة فاعمل على ما ذكرناه أبداً حتى ترقى إلى حالة تصير لك مقاماً تقام فيه فلا تزال

عنه، فتعلم حينئذ أنه موهبة ظهر بيانها فتمسكه ولا تنزل، فالأحوال للأولياء والمقامات للأبدال والله يتولى هداك.

\*\*\*

## المقالة التاسعة

### في الكشف والمشاهدة

قال عليه السلام: يكشف للأولياء والأبدال من أفعال الله ما يبهر العقول ويخرق العادات والرسوم فهي على قسمين: جلال وجمال، فالجلال والعظمة يورثان الخوف المقلق والوجل المزعج، والغلبة العظيمة على القلب بما يظهر على الجوارح، كما روى عن أن النبي ﷺ كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل في الصلاة من شدة الخوف لما يرى من جلال الله عز وجل وينكشف له من عظمته، ونقل مثل ذلك عن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه وعمر الفاروق رضى الله عنه.

أما مشاهدة الجمال: فهو التجلي للقلوب بالأنوار والسرور والألطاف، والكلام اللذيذ والحديث الأنيس، والبشارة بالمواهب الجسام والمنازل العالية، والقرب منه عز وجل مما سيئول أمرهم إلى الله عز وجل، وجف به القلم من أقسامهم في سابق الدهور فضلاً منه ورحمة، وإثباتاً منه لهم في الدنيا إلى بلوغ الأجل وهو الوقت المقدور، لئلا تفرط بهم المحبة من شدة الشوق إلى الله تعالى فتنفطر مرائرهم، فيهلكون ويضعفون عن القيام بالعبودية إلى أن يأتيهم اليقين الذي هو الموت، فيفعل ذلك بهم لطفاً منه ورحمة ومداراة لها ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الأنعام ١٣٩، لطيف بهم ﴿رَّءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة ١١٧، ولهذا روى عن النبي ﷺ أنه كان يقول لبلال المؤذن رضى الله عنه (أرحنا بها يا بلال)، أى بالإقامة لندخل في الصلاة لمشاهدة ما ذكرناه من الحال، ولهذا قال عليه السلام: (وجعلت قرّة عيني في الصلاة).

\*\*\*



## المقالة العاشرة

### في النفس وأحوالها

قال ﷺ: إنما هو الله ونفسك وأنت المخاطب، والنفس ضد الله وعدوه، والأشياء كلها تابعة لله، والنفس له خلقاً ومُلْكاً، وللنفس ادعاء وتمن وشهوة ولذة بملاستها، فإذا وافقت الحق عز وجل في مخالفة النفس وعدوانها فكنت لله خصماً على نفسك كما قال الله عز وجل لداود عليه السلام: "يا داود أنا بك اللازم فألزم بك، العبودية أن تكون خصماً على نفسك" فتحققت حينئذ موالاة الله وعبوديته لله عز وجل، وأتت الأقسام هنيئاً مريئاً مطيئاً وأنت عزيز ومكرم، وخدمتك الأشياء وعظمتك وفخمتك، لأنها بأجمعها تابعة لربها موافقة له إذ هو خالقها ومنشئها، وهى مقرة له بالعبودية. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَقْتَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ الإسراء ٤٤، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ فصلت ١١، فالعبادة كل العبادة فى مخالفة نفسك. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ص ٢٦. وقال لداود عليه السلام: (أهجر هواك فإنه منازع)، والحكاية المشهورة عن أبى يزيد البسطامى رحمه الله لما رأى رب العزة فى المنام فقال له: كيف الطريق إليك؟ قال: اترك نفسك وتعال، فقال: فانسلخت كما تنسلخ الحية من جلدها، فإذا الخير كله فى معاداتها فى الجملة فى الأحوال كلها، فإن كنت فى حال التقوى فخالف النفس، بأن تخرج من حرام الخلق وشبهتهم ومنتهم والاتكال عليهم والثقة بهم والخوف منهم، والرجاء لهم والطمع فيما عندهم من أحكام الدنيا، فلا ترج عطاياهم على طريق الهدية والزكاة والصدقة أو النذر، فاقطع همك منهم من سائر الوجوه والأسباب حتى إن كان لك نسب ذو مال لا تتمن موته لترث ماله، فاخرج من الخلق جاداً واجعلهم كالباب يرد ويفتح، وشجرة توجد فيها ثمر تارة وتختل أخرى وكل ذلك بفعل فاعل وتدبير مدبر وهو الله جل وعلا، لتكون موحداً للرب، ولا تنس مع ذلك كسبهم لتخلص من مذهب الجبرية، واعتقد أن الأفعال لا تتم بهم دون الله لا تعبدهم وتنسى الله. ولا تقل فعلهم دون فعل الله فتكفر فتكون قدرياً، لكن قل هى الله خلقاً وللعباد كسباً كما جاءت به الآثار، لبيان موضع الجزاء من الثواب والعقاب، وامثل أمر الله فيهم، وخلص قسم منهم



بأمره ولا تجاوزه فحكم الله قائم بحكمه عليك وعليهم، فلا تكن أنت الحاكم، وكونك معهم قدر والقدر ظلمة فادخل بالظلمة في المصباح وهو كتاب الله وسنة رسوله، لا تخرج عنها فإن خطر خاطر أو وجد إلهام فاعرضه على الكتاب والسنة، فإن وجدت فيها تحريم ذلك مثل أن تلهم بالزنا والرياء ومخالطة أهل الفسق والفجور وغير ذلك من المعاصي، فادفعه عنك واهجره ولا تقبله ولا تعمل به، واقطع بأنه من الشيطان اللعين نعوذ بالله منه. وإن وجدت فيها إباحة كالشهوات المباحة من الأكل، أو الشرب أو اللبس أو النكاح فاهجره أيضاً ولا تقبله، واعلم أنه من إلهام النفس وشهواتها وقد أمرت بمخالفتها وعداوتها. وإن لم تجد في الكتاب والسنة تحريمه وإباحته، بل هو أمر لا تعقله مثل السائق لك أئت موضع كذا وكذا، الق فلاناً صالحاً، ولا حاجة لك هناك ولا في الصالح لاستغنائك عنه بما أولاك الله من نعمته من العلم والمعرفة، فتوقف في ذلك ولا تبادر إليه فتقول هذا إلهام من الحق جل وعلا فأعمل به بل انتظر الخير كله في ذلك وفعل الحق عز وجل بأن يتكرر ذلك الإلهام وتؤمر بالسعى، أو علامة تظهر لأهل العلم بالله عز وجل يعقلها العقلاء من الأولياء والمؤيدون من الأبدال، وإنما لم يتبادر إلى ذلك لأنك لا تعلم عاقبته وما يؤول الأمر إليه، وما كان فيه فتنة وهلاك ومكر من الله وامتحان فاصبر حتى يكون هو عز وجل الفاعل فيك، فإذا تجرد الفعل وحملت إلى هناك واستقبلتك فتنة كنت محمولاً محفوظاً فيها، لأن الله تعالى لا يعاقبك على فعله وإنما تتطرق العقوبة نحوك لكونك في الشيء، وإن كنت في حالة الحقيقة وهي حالة الولاية فخالف هواك واتبع الأمر في الجملة.

واتباع الأمر على قسمين: أحدهما أن تأخذ من الدنيا القوت الذي هو حق النفس وتترك الحظ، وتؤدي الفرض وتشتغل بترك الذنوب ما ظهر منها وما بطن.

والقسم الثاني ما كان بأمر باطن، وهو أمر الحق عز وجل، يأمر عبده وينهاه، وإنما يتحقق بهذا الأمر في المباح الذي ليس له حكم في الشرع على معنى ليس من قبيل النهي ولا من قبيل الأمر الواجب، بل هو مهمل ترك العبد يتصرف فيه باختياره فسمى مباحاً فلا يحدث للعبد فيه شيئاً من عنده بل ينتظر الأمر فيه، فإذا أمر امتثل فتصير حركاته وسكناته بالله عز

وجل، ما في الشرع حكمه فبالشرع، وما ليس له حكم في الشرع فبالأمر الباطن فحينئذ يصير محققاً من أهل الحقيقة، وما ليس فيه أمر باطن فهو مجرد الفعل حاله التسليم، وإن كنت في حالة حق الحق وهي حالة المحو والفناء وهي حالة الأبدال المنكسرى القلوب لأجله الموحدين العارفين أرباب العلوم والعقل السادة الأمراء الشحن خفراء الخلق خلفاء الرحمن وأخلائه وأعيانه وأحبائه عليهم السلام، فاتباع الأمر فيها بمخالفتك إياك بالتبري من الحول والقوة، وأن لا يكون لك إرادة وهمة في شيء البتة دنيا وعقبى، فتكون عبد الملك لا عبد الملك وعبد الأمر لا عبد الهوى كالطفل مع الظئر، والميت الغسيل مع الغاسل، والمريض المقلوب على جنبه بين يدي الطبيب فيما سوى الأمر والنهي والله أعلم.



### المقالة الحادية عشرة

## في الشهوة

قال عليه السلام: إذا ألقى عليك شهوة النكاح في حالة الفقر وعجزت عن مؤنته فصبرت عنه منتظر الفرج من الباري عز وجل، إما بزوالها وإقلاعها عنك بقدرته التي ألقاها عليك وأوجدها فيك فيعينك أو يصونك وحياتك عن حمل مؤنتها أيضاً أو بإيصالها إليك موهبة مهنتاً مكفياً من غير ثقل في الدنيا ولا تعب في العقبى، وسماك الله عز وجل صابراً شاكراً لصبرك عنها راضياً بقسمته فزادك عصمة وقوة. فإن كانت قسماً لك ساقها إليك مكفياً مهنتاً فينقلب الصبر شكراً، وهو عز وجل وعد الشاكرين بالزيادة في العطاء قال الله عز وجل: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم ٧.

وإن لم تكن قسماً لك فالغنى عنها بقلعها من القلب إن شاءت النفس أو أبت، فلازم الصبر وخالف الهوى وعانق الأمر وارض بالقضاء، وارج بذلك الفضل والعطاء، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر ١٠.



## المقالة الثانية عشرة

### في النهى عن حب المال

قال ﷺ: إذا أعطاك الله عز وجل مالاً فاشتغلت به عن طاعته حجبك به عنه دنيا وأخرى، وربما سلبك إياه وغيرك وأفقرك لاشتغالك بالنعمة عن المنعم، وإن اشتغلت بطاعته عن المال جعله موهبة ولم ينقص منه حبة واحدة وكان المال خادماً وأنت خادم المولى، فتعيش في الدنيا مدلاً وفي العقبى مكرماً مطيباً في جنة المأوى مع الصديقين والشهداء والصالحين.

\* \* \*

## المقالة الثالثة عشرة

### في التسليم لأمر الله

قال ﷺ: لا تختار جلب النعماء ولا دفع البلوى، فالنعماء واصله إليك إن كانت قسمك استجلبتها أو كرهتها، والبلوى حالة بك إن كانت قسمك مقضية عليك سواء كرهتها أو رفعتها بالدعاء أو صبرت وتجلدت لرضى المولى، بل سلم في الكل، فيفعل الفعل فيك، فإن كانت النعماء فاشتغل بالشكر، وإن كانت البلوى فاشتغل بالتصبر والصبر، أو الموافقة والتنعم بها أو العدم أو الفناء فيها على قدر ما تعطى من الحالات وتنتقل فيها، وما تسير في المنازل في طريق المولى الذى أمرت بطاعته والموالات، لتصل إلى الرفيق الأعلى، فتقام حينئذ مقام من تقدم ومضى من الصديقين والشهداء والصالحين، لتعاین من سبقك إلى الملك ومنه دنا، ووجد عنده كل طريفة وسروراً وأمناً، وكرامة ونعماً.

دع البلية تزورك، خل من سبيلها، ولا تقف ولا تجزع من مجيئها وقربها، فليس نارها أعظم من نار ولظى جهنم، فقد ثبت في الخبر المروى عن خير البرية، وخير من حملته الأرض وأظلمت السماء محمد المصطفى ﷺ أنه قال: (إن نار جهنم تقول للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى) فهل كان نور المؤمن الذى أطفأ لهب النار في لظى إلا الذى صحبه في الدنيا الذى

لن يمر من أطاعها وعصى، فليطفئ هذا النور لهب البلوى، ولتجد برد صبرك وموافقتك للمولى وهيج ما حل بك من ذلك ومنك دنا، فالبلية لم تأتك لتهلكك، لكنها تأتيك لتجربك وتحقق صحة إيمانك وتوثيق عروة يقينك ويبشرك باطنها من مولاك بمباهاته بك، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ محمد ٣١، فإذا ثبت مع الحق إيمانك ووافقتة في فعله بيقينك كل ذلك بتوفيق منه ومنة، فكن حينئذ أبداً صابراً موافقاً مُسليماً لا تحدث فيك ولا في غيرك حادثة ما خرج عن الأمر والنهي، فإذا كان أمره عز وجل فتسامع وتسارع وتحرك ولا تسكن ولا تسلم للقدر والفعل، بل ابذل طوقك وجهودك لتؤدي الأمر، فإن عجزت فدونك الالتهاء إلى مولاك عز وجل، فالتجئ إليه وتضرع واعتذر، وفتش عن سبب عجزك عن أداء أمره وصدك عن التشوق لطاعته لعل ذلك لشؤم دعائك وسوء أدبك في طاعته، ورعونتك واتكالك على حولك وقوتك، وإعجابك بعلمك وشركك إياك بنفسك وخلقه، فصدك عن بابه، وعزلك عن طاعته وخدمته، وقطع عنك مدد توفيقه، وولى عنك وجهه الكريم، ومقتك وقلاك، وشغلك ببلائك دنياك وهواك، وإرادتك ومناك.

أما تعلم أن كل ذلك مشغول عن ذلك، وقاطعك عن عين الذى خلقك ورباك، وخوّلك وأعطاك وأحياك.

احذر لا يلهيك عن مولاك غير مولاك، وكل من سوى مولاك غيره، فلا تؤثر عليه غيره فإنه خلقك له، فلا تظلم نفسك فتشغل بغيره عن أمره فيدخلك النار التى وقودها الناس والحجارة فتندم، فلا ينفحك الندم، وتعذر فلا تعذر، وتستعجب فلا تعجب، وتسترجع إلى الدنيا لتستدرك وتصلح فلا ترجع.

ارحم نفسك وأشفق عليها، واستعمل الآلات والأدوات التى أعطيتها فى طاعة مولاك من الفعل، والإيمان والمعرفة والعلم.

استضيء بنورهما فى ظلمات الأقدار، وتمسك بالأمر والنهي، وسيرهما فى طريق مولاك وسلم ما سواهما إلى الذى خلقك وأنشأك، فلا تكفر بالذى خلقك من تراب ورباك، ثم من نطفة ثم

رجلاً سواك، ولا ترد غير أمره، ولا تكره غير نهيه.

اقنع من الدنيا والأخرى بهذا المراد واكره فيهما هذا المكروه، فكل ما يراد تبع لهذا المراد، وكل مكروه تبع لهذا المكروه.

إذا كنت مع أمره كانت الأكوان في أمرك، وإذا كرهت نهيه فرت منك المكاره أين كنت وحللت.

قال الله عز وجل في بعض كتبه: (يا ابن آدم أنا الله لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون ، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون) وقال عز وجل: (يا دنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فأتعبيه) فإذا جاء نهيه عز وجل فكن كأنك مسترخي المفاصل، مسكن الحواس، مضيق الذرع، متماوت الجسد، زائل الهوى، منطمس الوسوم، منمحي الرسوم، منسي الأثر، مظلم القنا، متهدم البناء، خاوي البيت، ساقط العرش، لا حس ولا أثر، فليكن سمعك كأنه أصم وعلى ذلك مخلوق، وبصرك كأنه معصب أو مرمود أو مطموس، وشفتك كأن بهما قرحة وبثوراً، ولسانك كأنه به خرساً وكلولاً، وأسنانك كأن بهما ضرياناً وألماً ونشورا، ويداك كأن بهما شللاً وعن البطش قصورا، ورجلاك كأن بهما رعدة وارتعاشاً وجروحاً، وفرجك كأن به عنة وبغير ذلك الشأن مشغولاً، وبطنك كأن به امتلاء وارتواء وعن الطعام غنى، وعقلك كأنك مجنون ومخبول، وجسدك كأنك ميت وإلى القبر محمول، فالتسامع والتسارع في الأمر، والتعاقد والتجاعد والتقاصر في النهى، والتماوت والتعادم والتفاني في القدر، فاشرب هذه الشربة، وتداو بهذا الدواء، وتغذ بهذا الغذاء، تنجح وتشفى، وتعافى من أمراض الذنوب وعلل الأهواء، بإذن الله تعالى إن شاء الله.



## المقالة الرابعة عشرة

### في اتباع أحوال القوم

قال ﷺ: لا تدع حالة القوم يا صاحب الهوى أنت تعبد الهوى وهم عبيد المولى، أنت رغبتك في الدنيا ورغبة القوم في العقبى، أنت ترى الدنيا وهم يرون رب الأرض والسماء، وأنت أنسك بالخلق وأنس القوم بالحق، أنت قلبك متعلق بمن في الأرض وقلوب القوم برّب العرش، أنت يصطادك من ترى وهم لا يرون من ترى بل يرون خالق الأشياء وما يرى، فاز القوم به وحصلت لهم النجاة، وبقيت أنت مرتيناً بما تشتهى من الدنيا وتهوى، فنوا عن الخلق والهوى والإرادة والمنى فوصلوا إلى الملك الأعلى، فأوقفهم على غاية ما رام منهم من الطاعة والمجد والثناء ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ المائدة: ٥٥، فلأزموا ذلك وواظبوا بتوفيق منه وتيسير بلا عناء، فصارت الطاعة لهم روحاً وغذاء، وصارت الدنيا إذ ذاك في حقهم نقمة وخزياً، فكأنها لهم جنة المأوى إذ ما يرون شيئاً من الأشياء حتى يروا قبله فعل الذى خلق وأنشأ فيهم ثبات الأرض والسماء، وقرار الموت والإحياء إذ جعلهم مليكهم أوتاداً للأرض الذى دحى، فكل كالجبل الذى رسى، فتنح عن طريقهم ولا تزاحم من لم يفده عن قصده الآباء والأبناء، فهم خير من خلق ربى وبث في الأرض وذراً، فعليهم سلام الله وتحياته ما دامت الأرض والسماء.



## المقالة الخامسة عشرة

### في الخوف والرجاء

قال ﷺ: رأيت في المنام كائناً في موضع شبه مسجد وفيه قوم منقطعون، فقلت: لو كان هؤلاء فلان يؤدبهم ويرشدهم، فأشرت إلى رجل من الصالحين فاجتمع القوم حولى فقال واحد منهم: فأنت لأى شىء لا تتكلم؟ فقلت: إن رضيتموني ذلك، ثم قلت: إذا انقطعتم من الخلق إلى

الحق فلا تسألوا الناس شيئاً بألسنتكم، فإذا تركتم ذلك فلا تسألوهم بقلوبكم، فإن السؤال بالقلب كالسؤال باللسان. ثم اعلموا أن الله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ الرحمن ٢٩، في تغيير وتبديل ورفع وخفض، فقوم يرفعهم إلى عليين، وقوم يحطهم إلى أسفل سافلين، فخوف الذين رفعهم إلى عليين أن يحطهم إلى أسفل سافلين، ورجاؤهم أن يبقئهم ويحفظهم على ما هم عليه من الرفع، وخوف الذين حطهم إلى أسفل سافلين، أن يبقئهم ويخلدهم على ما هم فيه من الحط، ورجاؤهم أن يرفعهم إلى عليين، ثم انتبهت.



### المقالة السادسة عشرة

## في التوكل ومقاماته

قال ﷺ: ما حجت عن فضل الله ونعمه إلا لا تكالك على الخلق والأسباب، والصنائع والاكْتِسَاب، فالخلق حجابك عن الأكل بالسنة وهو المكسب، فما دمت قائماً مع الخلق راجياً لعطاياهم وفضلهم سائلاً لهم متردداً إلى أبوابهم فأنت مشرك بالله خلقه، فيعاقبك بحرمان الأكل بالسنة الذي هو الكسب من حلال الدنيا، ثم إذا تبت عن القيام مع الخلق وشرك ربك عز وجل إياهم ورجعت إلى الكسب فتأكل بالكسب وتتوكل على الكسب وتطمئن إليه وتنسى فضل الرب عز وجل، فأنت مشرك أيضاً، إلا أنه شرك خفى أخفى من الأول، فيعاقبك الله عز وجل ويحجبك عن فضله والبداءة به، فإذا تبت عن ذلك وأزلت الشرك عن الوسط، ورفعت اتكالك عن الكسب والحول والقوة، ورأيت الله عز وجل هو الرزاق، وهو المسبب والمسهل والمقوي على الكسب، والموفق لكل خير والرزق بيده، تارة يواصلك به بطريق الخلق على وجه المسألة لهم في حالة الابتلاء أو الرياضة أو عند سؤالك له عز وجل، وأخرى بطريق الكسب معاوضة وأخرى من فضله مبادأة من غير أن ترى الوساطة والسبب، فرجعت إليه واستطرح بين يديه، ورفع الحجاب بينك وبين فضله، وبإداك وغذاك بفضله، عند كل حاجة على قدر ما يوافق حالك، كفعل الطبيب الشفيق الرقيق الحبيب للمريض حماية منه عز وجل،

وتنزيهاً لك عن الميل إلى من سواه، يرضيك بفضله، فإذا ينقطع عن قلبك كل إرادة وكل شهوة ولذة ومطلوب ومحبوب، فلا يبقى في قلبك سوى إرادته عز وجل، فإذا أراد أن يسوق إليك قسمك الذى لا بد من تناوله وليس هو رزقاً لأحد من خلقه سواك، أوجد عندك شهوة ذلك القسم وساقه إليك، فيواصلك به عند الحاجة، ثم يوفقك ويعرفك أنه منه وهو سائقه إليك ورازقه لك، فتشكره حينئذ وتعرف وتعلم، فيزيدك خروجاً من الخلق وبعداً من الأنام، وأخلت الباطن عما سواه عز وجل، ثم إذا قوي علمك ويقينك، وشرح صدرك ونور قلبك، وزاد قربك من مولاك ومكانتك لديه عنده، وأهليتك لحفظ الأسرار علمت متى يأتيك قسمك كرامة لك وإجلالاً لحرمتك فضلاً منه ومنة وهداية، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمًا يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ السجدة ٢٧، وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت ٦٩، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ البقرة ٢٨٢، ثم يرد عليك التكوين فتكون بالإذن الصريح الذى هو لا غبار عليه والدلالات اللائحة كالشمس المنيرة، وبكلامه اللذيذ الذى هو ألد من كل لذيذ، وإلهام صدق من غير تلبس مصفى من هواجس النفس ووساوس الشيطان الرجيم.

قال الله تعالى فى بعض كتبه: (يا ابن آدم أنا الله الذى لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون، أطني أجعلك تقول للشيء كن فيكون)، وقد فعل ذلك بكثير من أنبيائه وأوليائه وخواصه من بنى آدم.



### المقالة السابعة عشرة

## فى كيفية الوصول إلى الله بواسطة المرشد

قال ﷺ: إذا وصلت إلى الله قربت بتقريبه وتوفيقه، ومعنى الوصول إلى الله عز وجل خروجك عن الخلق والهوى والإرادة والمنى، والثبوت مع فعله ومن غير أن يكون منك حركة فيك ولا فى خلقه بك، بل بحكمه وأمره وفعله، فهى حالة الفناء يعبر عنها بالوصول، فالوصول



إلى الله عز وجل ليس كالوصول إلى أحد من خلقه المعقول المعهود ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى ١١، جل الخالق أن يشبه بمخلوقاته أو يقاس على مصنوعاته، فالواصل إليه عز وجل معروف عند أهل الوصول بتعريفه عز وجل لهم كل واحد على حدة لا يشاركه فيه غيره، وله عز وجل مع كل واحد من رسله وأنبيائه وأوليائه سر من حيث هو لا يطلع على ذلك أحد غيره، حتى أنه قد يكون للمريد سر لا يطلع عليه شيخه، وللشيخ سر لا يطلع عليه مريده الذى قد دنا سيره إلى عتبة باب حالة شيخه، فإذا بلغ المريد حالة شيخه أفرد عن الشيخ وقطع عنه، فيتولاه الحق عز وجل فيفطمه عن الخلق جملة، فيكون الشيخ كالضئير والداية، لا رضاع بعد الحولين، ولا خلق بعد زوال الهوى والإرادة. الشيخ يحتاج إليه ما دام ثم هوى وإرادة لكسرهما، وأما بعد زوالهما فلا، لأنه لا كدورة ولا نقصان، فإذا وصلت إلى الحق عز وجل على ما بينا فكن آمناً أبداً من سواه عز وجل فلا ترى لغيره وجوداً البتة، لا فى الضر ولا فى النفع، ولا فى العطاء ولا فى المنع، ولا فى الخوف ولا فى الرجاء، هو عز وجل ﴿أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ﴾ المائدة ٥٦، فكن أبداً ناظراً إلى فعله مترقباً لأمره. مشغلاً بطاعته، مبانياً عن جميع خلقه دنيا وأخرى.

لا تعلق قلبك بشيء منهم واجعل الخليقة أجمع كرجل كَتَفَهُ سلطان عظيم ملكه شديد أمره، مهولة صولته وسطوته، ثم جعل الغل فى رقبتة ورجليه، ثم صلبه على شجرة الأرز، على شاطئ نهر عظيم موجه، فسيح عرضه، عميق غوره، شديد جريه، ثم جلس السلطان على كرسيه، عظيم قدره، عال ساءؤه، بعيد مرامه ووصوله، وترك إلى جنبه أحمالاً من السهام والرماح والنبال وأنواع السلاح والقسى ومما لا يبلغ قدرها غيره، فجعل يرمى إلى المصلوب بما شاء من ذلك السلاح، فهل يحسن لمن يرى ذلك أن يترك النظر إلى السلطان والخوف منه والرجاء له وينظر إلى المصلوب ويخاف منه ويرجوه، أليس من فعل ذلك يسمى فى قضية العقل عديم العقل والحس مجنوناً. بهيمة غير إنسان؟ نعوذ بالله من العمى بعد البصيرة، ومن القطيعة بعد الوصول، ومن الصدود بعد الدنو والقرب، ومن الضلالة بعد الهداية، ومن الكفر بعد الإيمان، فالدنيا كالنهر العظيم الجاري الذى ذكرناه كل يوم فى زيادة ماء وهى شهوات

بنى آدم ولذاتهم فيها، والدواهي التي تصيبهم منها، وأما السهام وأنواع السلاح فالبلايا التي يجري بها القدر إليهم، فالغالب على بنى آدم في الدنيا البلايا والآلام والمحن، وما يجدون من النعم واللذات فيها فمشوبة بالآفات إذا اعتبرها كل عاقل لا حياة له ولا عيش ولا راحة إلا في الآخرة إن كان مؤمناً، لأن ذلك خصوصاً في حق المؤمن. قال النبي ﷺ: (لا عيش إلا عيش الآخرة) وقال ﷺ: (لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه) ذلك في حق المؤمنين. وقال ﷺ: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)، وقال ﷺ: (التقى مُلْجَم) فمع هذه الأخبار والعيان كيف يدعي طيب العيش في الدنيا. فالراحة كل الراحة في الانقطاع إلى الله عز وجل وموافقته، والاستطراح بين يديه، فيكون العبد بذلك خارجاً عن الدنيا، فحينئذ يكون الدلال رافة ورحمة ولطفاً وفضلاً، والله أعلم.



### المقالة الثامنة عشرة

## في النهي عن الشكوى

قال ﷺ: الوصية لا تشكون إلى أحد ما نزل بك من خير كائناً من كان صديقاً أو عدواً ولا تتهمن الرب عز وجل فيما فعل فيك وأنزل بك من البلاء، بل أظهر الخير والشكر، فكذبك باظهارك للشكر من غير نعمة عندك خير من صدقك في إخبارك جليلة الحال بالشكوى، من الذى خلا من نعمة الله عز وجل؟ قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النحل ١٨، فكم من نعمة عندك وأنت لا تعرفها؟ لا تسكن إلى أحد من الخلق، ولا تستأنس به، ولا تطلع أحداً على ما أنت فيه، بل يكون أنسك بالله عز وجل، وسكونك إليه وشكواك منه وإليه لا ترى ثانياً، فإنه ليس لأحد ضر ونفع، ولا جلب ولا دفع، ولا عز ولا ذل، ولا رفع ولا خفض، ولا فقر ولا غنى، ولا تحريك ولا تسكين، الأشياء كلها خلق الله عز وجل وبيد الله عز وجل، بأمره وإذنه جريناها، وكل يجري لأجل مسمى، وكل شيء عنده بمقدار، لا مقدم لما آخر، ولا مؤخر لما قدم، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَصْرَ فَلَا كَاشِفَ

لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرْذَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾، فإن شكوت منه عز وجل وأنت معافي وعندك نعمة طالباً الزيادة وتعامياً عن ماله عندك من النعمة والعافية استهزاءً بها، غضب عليك وأزالها عنك، وحقق شكواك، وضاعف بلواك، وشدّد عقوبتك ومقتك وقلاك، وأسقطك من عينه: احذر الشكوى جداً ولو قطعت وقرض لحملك بالمقاريض.

إياك إياك ثم إياك، الله الله ثم الله، النجاة النجاة، الحذر الحذر، فإن أكثر ما ينزل بابن آدم من أنواع البلاء بشكواه من ربّه عز وجل. كيف يشتكي منه عز وجل وهو أرحم الراحمين، وخير الحاكمين، حكيم خبير، رؤوف رحيم، لطيف بعباده، وليس بظلام للعبيد، كطبيب حكيم حبيب شفيق لطيف قريب هل تتهم الوالدة الرحيمة، قال النبي ﷺ: (الله أرحم بعبده من الوالدة بولدها).

أحسن الأدب يا مسكين، تصبّر عند البلاء إن ضعفت على الصبر، ثم اصبر إن ضعفت عن الرضا والموافقة، ثم أرض ووافق إن وجدت، ثم أفن إذا فقدت، أيها الكبريت الأحمر أين أنت أين توجد وترى؟ أما تسمع إلى قوله عز وجل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة ٢١٦، طوى عنك علم حقيقة الأشياء وحجبك عنه، فلا تسيء الأدب فتكره بك أو تحب بك، بل اتبع الشرع في جميع ما ينزل بك إن كنت في حالة التقوى التي هي القدم الأولى، واتبع الأمر في حالة الولاية وخمود وجود الهوى ولا تجاوزه وهي القدم الثانية، وأرض بالفعل ووافق، وافن في حالة البدلية والغوثية والقطبية والصديقية، وهي المنتهى، تنح عن طريق القدر، خل عن سبيله، رد نفسك وهواك، كف لسانك عن الشكوى، فإذا فعلت ذلك، إن كان خيراً زادك المولى طيبة وسروراً ولذة، وإن كان شراً حفظك في طاعته فيه، وأزال عنك الملامة، وأفقدك فيه حتى يتجاوز عنك، ويرحل عند انقضاء أجله، كما ينقضي الليل فيسفر عن النهار، والبرد في الشتاء فيسفر عن الصيف، ذلك أنموذج عندك، فاعتبر بهم، ثم ذنوب وآثام وإجرام وتلويثات بأنواع المعاصي والخطيئات ولا يصلح لمجالسة الكريم إلا الطاهر عن أنجاس الذنوب

والزلاّت، ولا يقبل على سدته إلا طيباً من درن الدعاوى والوهوسات، كما لا يصلح لمجالسة الملوك إلا الطاهر من الأنجاس وأنواع التنن والأوساخ، فالبلايا مكفّرات مطهرات قال النبي ﷺ: (حمى يوم كفارة سنة) صدق رسول الله ﷺ.



### المقالة التاسعة عشرة

## في الأمر بوفاء العهد والنهي عن خلفه

قال ﷺ: إذا كنت ضعيف الإيمان واليقين ووعدت بوعد وفّ بوعدك، ولا تخلف كيلا يزول إيمانك ويذهب يقينك.

وإذا قوي ذلك في قلبك وتمكنت خوطبت بقوله: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ يوسف ٥٤، وتكرر هذا الخطاب لك حالاً بعد حال فكنت من الخواص بل من خواص الخواص ولم يبق لك إرادة ولا مطلب، ولا عمل تعجب به ولا قرينة تراها، ولا منزلة تلمحها، فتسمو همتك إليها، فصرت كالإناء المنثلم الذي لا يثبت فيه مائع، فلا يثبت فيك إرادة ولا خلق ولا همة إلى شيء من الأشياء دنيا وأخرى، وطهرت مما سوى الله تعالى، وأعطيت رضاك عن الله عز وجل، ووعدت برضوانه عز وجل عنك، ولذذت ونعمت بأفعال الله عز وجل أجمع، فحينئذ تواعد بوعد، فإذا اطمأنت إليه ووجدت فيه إمارة إرادة ما نقلت عن ذلك الوعد إلى ما هو أعلى منه، وصرفت إلى أشرف منه، وعوضت عن الأول بالغنى عنه، وفتحت لك أبواب المعارف والعلوم وأطلعت على غوامض الأمور وحقائق الحكمة والمصالح المدفونة في الانتقال من الأول إلى ما يليه ويزاد حينئذ في مكانتك في حفظ الحال ثم المقال، وفي أمانتك في حفظ الأسرار وشرح الصدور وتنوير القلب وفصاحة اللسان والحكمة البالغة في إلقاء المحبة عليك، فجعلت محبوب الخليقة أجمع الثقلين وما سواهما دنيا وأخرى. إذا صرت محبوب الحق عز وجل، والخلق تابع للحق جلّ وعلا، ومحبتهم مندرجة في محبته، كما أن بغضهم يندرج في بغضه عز وجل. فإذا بلغت المقام الذي ليس فيه إرادة شيء البتة جعلت لك إرادة شيء من

الأشياء، فإذا تحققت إرادتك لذلك الشيء أزيل الشيء وأعدم، وصرفت عنه فلم تعطه في الدنيا، وعوضت عنه الأخرى بما يزيدك قربة وزلفى إلى العلى الأعلى، وما تقر به عينك في الفردوس الأعلى وجنة المأوى، وإن كنت لم تطلب ذلك وتأمله وترجوه وأنت في دار الدنيا التى هى دار الفناء والتكاليف والعناء، بل رجائك وأنت فيها وجه الذى خلق وبرأ ومنع وأعطى، وبسط الأرض ورفع السماء إذ ذاك هو المراد والمطلوب والمنى، وربما عوضت عن ذلك بما هو أدنى منه أو مثله في الدنيا بعد انكسار قلبك وبصرك، حينئذ يصدق عن ذلك المطلوب والمراد، وتحقيق العوض في الأخرى على ما ذكرنا وبيننا، والله سبحانه أعلم.

\*\*\*

### المقالة العشرون

## في قوله ﷺ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك

قال ﷺ: دع ما يريبك إذا اجتمع مع ما لا يريبك، فخذ بالعزيمة الذى لا يشوبها ريب ولا شك، ودع ما يريبك، فأما إذا تجرد المريب المشوب الذى لم يصف عن حز القلب وحكه فتوقف فيه وانظر الأمر فيه، فإن أمرت بتناوله تناوله فدونك وإن أمرت بالكف عنه ومنعت فكف، فليكن ذلك عندك كأنه لم يكن ولم يوجد، ارجع إلى الباب وابتغ عند ربك الرزق، وإن ضعفت عن الصبر أو الموافقة أو الرضا أو الفنا فهو عز وجل لا يحتاج أن يذكر فليس بغافل عنك وعن غيرك، وهو عز وجل يطعم الكفار والمنافقين والمدبرين عنه فكيف ينساك؟ أيها المؤمن الموحد المقبل على طاعته والقائم بأمره في آناء الليل وأطراف النهار.

وجه آخر: دع ما في أيدي الخلق فلا تطلبه ولا تعلق قلبك به، ولا ترجو الخلق ولا تخافهم، وخذ من فضل الله عز وجل وهو ما لا يريبك، وليكن لك مسؤول واحد ومرجو واحد ومخوف واحد وموجود واحد وهمة واحدة وهو ربك عز وجل الذى نواصي الملوك بيده وقلوب الخلق بيده التى هى أمراء الأجساد، وأموال الخلق له عز وجل، وهم وكلاؤه وأمناءه، وحركة أيديهم بالعطاء لك بإذنه عز وجل وأمره وتحريكه، وكفها عن عطائك ذلك، قال الله عز وجل:

﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النساء ٣٢، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ العنكبوت ١٧، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة ١٨٦، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ﴾ غافر ٦٠، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذاريات ٥٨، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ آل عمران ٣٧.



## المقالة الحادية والعشرون

### في مكالمة إبليس نعوذ بالله منه

قال عليه السلام: رأيت إبليس اللعين في المنام وأنا في جمع كثير فهممت بقتله، فقال لي لعنه الله لم تقتلني وما ذنبي؟ إن جرى القدر بالشر فلا أقدر أغيره إلى خير وأنقله إليه، وإن جرى بالخير فلا أقدر أغيره إلى شر وأنقله إليه، فأى شيء بيدي؟ وكانت صورته على صورة الخنثى لين الكلام مشوه الوجه طاقات شعر في ذقنه حقير الصورة دميم الخلقة، ثم تبسم في وجهي تبسم خجل ووجل وذلك في ليلة الأحد ثانی عشر من ذی الحجة من سنة ستة عشر وخمسةائة، والله الهادي لكل خير.



## المقالة الثانية والعشرون

### في إبتلاء المؤمن على قدر إيمانه

قال عليه السلام: لا يزال الله يبتلي عبده المؤمن على قدر إيمانه، فمن عظم إيمانه وكثر وتزايد عظم بلاؤه، الرسول بلاؤه أعظم من بلاء النبي، لأن إيمانه أعظم، والنبي بلاؤه أعظم من بلاء البدل وبلاء البدل أعظم من بلاء الولي، كل واحد على قدر إيمانه ويقينه. وأصل ذلك قول النبي عليه السلام: (إنا معشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل) فيديم الله تعالى البلاء لهؤلاء

السادات الكرام حتى يكونوا أبدأً في الحضرة ولا يغفلوا عن اليقظة، لأنه يجبههم، فهم أهل المحبة يحبون الحق، والمحبة أبدأً لا يختار بعد محبوبه، فالبلاء خطاف لقلوبهم وقيد لنفوسهم، يمنعهم عن الميل إلى غير مطلوبهم والسكون والركون إلى غير خالقهم، فإذا دام ذلك في حقهم ذابت أهويتهم وانكسرت نفوسهم وتميز الحق من الباطل فتنزوي الشهوات والإرادات، والميل إلى اللذات والراحات دنيا وأخرى بأجمعها إلى ما يلي النفس ويصير السكون إلى وعد الحق عز وجل، والرضا بقضائه، والقناعة بعطائه، والصبر على بلائه، والأمن من شر خلقه إلى ما يلي القلب، فتقوى شوكة القلب، فتصير الولاية على الجوارح إليه، لأن البلاء يقوى القلب واليقين، ويحقق الإيمان والصبر، ويضعف النفس والهوى، لأنه كلما وصل الألم ووجد من المؤمن الصبر والرضا والتسليم لفعل الرب عز وجل، رضى الرب تعالى عنه وشكره، فجاءه المدد والزيادة والتوفيق، قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم ٧، وإذا تركت النفس بطلب شهوة من شهواتها ولذة من لذاتها من القلب فأجابها القلب إلى مطلوبها ذلك من غير أمر من الله تعالى وإذن منه حصلت بذلك غفلة عن الحق تعالى وشرك ومعصية، فعمها الله تعالى بالخذلان والبلايا وتسليط الخلق، والأوجاع والأمراض والإيذاء والتشويش، فينال كل واحد من القلب والنفس حظ وإن لم يجب القلب والنفس إلى مطلوبها حتى يأتيه الإذن من قبل الحق عز وجل بإلهام في حق الأولياء، ووحى صريح في حق المرسلين والأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، فعمل ذلك عطاء ومنعاً، وعمها الله بالرحمة والبركة، والعافية والرضا، والنور والمعرفة، والقرب والغنى والسلامة من الآفات، والنصر على الأعداء فاعلم ذلك واحفظه واحذر البلاء جداً في المسارعة إلى إجابة النفس والهوى، بل توقف وترقب في ذلك إذن المولى جلّ جلاله، فتسلم في الدنيا والعقبى إن شاء الله تعالى.





## المقالة الثالثة والعشرون

### في الرضا بما قسم الله تعالى

قال ﷺ: إرض بالدون والزمه جداً حتى يبلغ الكتاب أجله فتنقل إلى الأعلى والأنفس، وبها تنهأ وفيه تبقى وتحفظ بلا عناء دنيا وأخرى ولا تبعة ولا عدوى، ثم تترقى من ذلك إلى ما هو أقر عيناً منه وأهنأ.

وأعلم أن القسم لا يفوتك بترك الطلب، وما ليس بقسم لا تناله بحرصك في الطلب والجد والاجتهاد، فاصبر وألزم الحال وأرض به، لا تأخذ بك حتى تؤمر، ولا تعطى بك حتى تؤمر، ولا تتحرك بك ولا تسكن بك، فتبتلى بك وبمن هو شر منك من الخلق لأنك بذلك تظلم والظالم لا يغفل عنه قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ الأنعام ١٢٩، لأنك في دار ملك عظيم أمره شديدة شوكته، كثير جنده نافذة مشيئته قاهر حكمه باق ملكه دائم سلطانه دقيق علمه بالغة حكمته عدل قضاؤه ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ سبأ ٣، لا يجاوزه ظلم ظالم فأنت أعظمهم ظلماً وأكبرهم جريمة، لأنك أشركت بتصرفك فيك وفي خلقه عز وجل بهواك، قال الله تعالى: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان ١٣، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء ٤٨، إتق الشرك جداً ولا تقربه، واجتنبه في حركاتك وسكناتك وليلك ونهارك، في خلوتك وجلوتك. واحذر المعصية في الجملة في الجوارح والقلب واترك الإثم ما ظهر منه وما بطن. لا تهرب منه عز وجل فيدركك، ولا تنازعه في قضاؤه فيقصمك، وتتهمه في حكمه فيخذلك، ولا تغفل عنه فينبهك ويبتليك، ولا تحدث في داره حادثة فيهلكك، ولا تقل في دينه بهواك فيريدك ويظلم قلبك، ويسلب إيمانك ومعرفتك، ويسلط عليك شيطانك ونفسك وهواك وشهواتك وأهلك وجيرانك وأصحابك وأخلاءك وجميع خلقه حتى عقارب دارك وحياتها وجناتها وبقيتها هوامها، فينغص عيشك في الدنيا ويطيل عذابك في العقبى.





## المقالة الرابعة والعشرون

### في الحث على ملازمة باب الله تعالى

قال ﷺ: أحذر معصية الله عز وجل جداً، والزم بابه حقاً وابذل طوقك وجهدك في طاعته معتذراً متضرعاً مفتقراً خاضعاً، متخشعاً مطرقاً، غير ناظر إلى خلقه ولا تابع لهواك، ولا طالب للأعواض دنيا وأخرى، ولا ارتقاء إلى المنازل العالية والمقامات الشريفة، واقطع بأنك عبده والعبد وما ملك لمولاه، لا يستحق عليه شيئاً من الأشياء، أحسن الأدب ولا تنتهم مولاك، فكل شئ عنده بمقدار، لا مقدم لما آخر ولا مؤخر لما قدم، يأتيك ما قدر لك عند وقته وأجله إن شئت أو أبيت، لا تشره على ما سيكون لك، ولا تطلب وتلهف على ما هو لغيرك، فما ليس هو عندك لا يخلو إما أن يكون لك أو لغيرك، فإن كان لك فهو إليك صائر وأنت إليه مقاد ومسير، فاللقاء عن قريب حاصل، وما ليس لك فأنت عنه مصروف وهو عنك مول فأنى لكما التلاق فاشغل بإحسان الأدب فيما أنت بصدده من طاعة مولاك عز وجل في وقتك الحاضر، ولا ترفع رأسك ولا تمل عنقك إلى ما سواه. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْنِ عَيْنُكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ طه ١٣١، فقد نهاك الله عز وجل عن الالتفات إلى غير ما أقامك فيه ورزقك من طاعته وأعطاك من قسمه ورزقه وفضله، ونبهك أن ما سوى ذلك فتنة افتتنهم به، ورضاك قسمك خير لك وأبقى وأبرك وأحرى وأولى، فليكن هذا دأبك ومتقبلك ومثواك، وشعارك ودثارك ومرادك ومرامك، وشهوتك ومناك، تنل به كل المرام، وتصل به إلى كل مقام وترقى به إلى كل خير ونعيم وطريف وسرور ونفيس. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السجدة ١٧، ولا عمل بعد العبادات الخمس وترك الذنوب، ولا أجمع ولا أعظم ولا أشرف ولا أحب إلى الله عز وجل، ولا أرضى عنده مما ذكرنا لك، وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى بمنه.



## في شجرة الإيمان

قال ﷺ: لا تقولن يا فقير اليد، يا مولى عنه الدنيا وأبنائها، يا خامل الذكر بين ملوك الدنيا وأربابها، يا جائع يا نائع يا عريان الجسد يا ظمآن الكبد يا مُشتتاً في كل زاوية من الأرض من مسجد وبقاع خراب، ومردوداً من كل باب، ومدفوعاً عن كل مراد، ومنكسراً ومزدحماً في قلبه كل حاجة مرام. إن الله تعالى افقرني وذوى عني الدنيا وغرني، وتركني وقلاني وفرقني ولم يجمعني، وأهانني ولم يعطني من الدنيا كفاية، وأخملني ولم يرفع ذكرى بين الخليقة وإخواني، وأسبل على غيري نعمة منه سابغة يتقلب فيها في ليله ونهاره، وفضله عليّ وعلى أهل ديارى وكلانا مسلمان مؤمنان ويجمعنا أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام، أما أنت فقد فعل الله ذلك بك، لأن طينتكَ حرة وندي رحمة الله متدارك عليك من الصبر والرضا واليقين والموافقة والعلم وأنوار الإيمان والتوحيد متراكم لديك، فشجرة إيمانك وغرسها وبذرها ثابتة مكيئة مورقة مثمرة متزايدة متشعبة غضة مظلمة متفرعة، فهي كل يوم في زيادة ونمو، فلا حاجة بها إلى سباطة وعلف لتنمى بها وتربى، وقد فرغ الله عز وجل من أمرك على ذلك، وأعطاك في الآخرة دار البقاء وخولك فيها، وأجزل عطاءك في العقبى مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلُمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة ١٧]، أى ما عملوا في الدنيا من أداء الأوامر، والصبر على ترك المناهى، والتسليم والتفويض إليه في المقدور، والموافقة له في جميع الأمور. وأما الغير الذى أعطاه الله عز وجل الدنيا وخوله ونعمه بها وأسبغ عليه فضله فعل به ذلك، لأن محل إيمانه أرض سبخة وصخر لا يكاد يثبت فيها الماء وتنبت فيها الأشجار، ويتربى فيها الزرع والثمار فصب عليها أنواع سباطه وغيرها مما يربى به النبات والأشجار، وهى الدنيا وحطامها ليحفظ بها ما أنبت فيها من شجرة الإيمان وغرس الأعمال، فلو قطع ذلك عنها لجف النبات والأشجار، وانقطعت الثمار، فخربت الديار، وهو عز وجل يريد عمارتها، فجشرة إيمان الغنى ضعيفة المنبت وخال عما هو مشحون به منبت شجرة إيمانك يا فقير، فقوتها وبقاؤها بما ترى عنده من

الدنيا وأنواع النعيم، فلو قطع ذلك عنه مع ضعف الشجرة جفت، فكان كفراً وجحوداً وإلحاقاً بالمنافقين والمرتدين والكفار، اللهم إلا أن يبعث الله عز وجل إلى الغنى عساكر الصبر والرضا واليقين والتوفيق والعلم وأنواع المعارف فيقوى الإيمان بها فحينئذ لا يبالي بانقطاع الغنى والنعيم، والله الهادي الموفق.



### المقالة السادسة والعشرون

## في النهي عن كشف البرقع عن الوجه

قال عليه السلام: لا تكشف البرقع والقناع عن وجهك حتى تخرج من الخلق وتوليهم ظهر قلبك في جميع الأحوال ويزول هواك، ثم تزول إرادتك ومناك، فتفنى عن الأكوان دنيا وأخرى، فتصير كإناء مثلم لا يبقى فيك غير إرادة ربك عز وجل فتمتلئ به عز وجل وبحكمه، إذا خرج الزور دخل النور، فلا يكون لغير ربك في قلبك مكان ولا مدخل، وجعلت بواب قلبك وأعطيت سيف التوحيد والعظمة والجبروت، فكل من رأته دنا من ساحة صدرك إلى باب قلبك ندرت رأسه من كاهله، فلا يكون لنفسك وهواك وإرادتك ومناك في دنياك وأخراك عندك رأس امتثال ولا كلمة مسموعة، لا أرى متبع إلا إتباع أمر الرب عز وجل، والوقوف معه والرضا بقضائه وقدره، بل الفناء في قضائه وقدره، فتكون عبد الرب عز وجل وأمره لا عبد الخلق وآرائهم، فإذا استمر الأمر فيك كذلك ضربت حول قلبك سرادقات الغيرة وخنادق العظمة وسلطان الجبروت، وحف بجنود الحقيقة والتوحيد، ويقام دون ذلك حراس من الحق عز وجل، كيلا يخلص الخلق إلى تطلب القلب من الشيطان والنفس والهوى، والإرادات والأمانى الباطلة، والدعاوى الكاذبة الناشئة من الطباع والنفس الآمرة بالسوء، والضلالات الناشئة من الهوى، فحينئذ إن كان في القدر مجئ الخلق وتواترهم إليك وتتابعهم وتطابقهم عليك، ليصيبوا من الأنوار اللائحة والعلامات المنيرة والحكم البالغة، ويروا من الكرامات الظاهرة وخوارق العادة المستمرة، ويزدادوا بذلك من القربات والطاعات

والمجاهدات والمكائدات في عبادة ربهم عز وجل، حفظت عنهم أجمعين وعن ميل النفس إلى هواها، وعجبها ومباهااتها، وتعاضمها بالتكبر بهم وبقبولهم لك وإقبال وجوههم إليك، وكذلك إن قدر مجئ زوجة حسناء جميلة بكفايتها وسائر مؤنتها حفظت من شرها وحمل أثقالها وأتباعها وأهلها، وصارت عندك موهبة مكفاة مهنة منقاة مصفاة من الغش والخبث والغل والحقد والغضب والخيانة في الغيب، فتكون لك مسخرة، وهى وأهلها محمولة عنك مؤنتها، مدفوعة عنك أذيتها، وإن قدر منها ولد كان صالحاً ذرية طيبة قرة عين. قال الله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ الأنبياء: ٩٠، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ الفرقان: ٧٤، وقال تعالى: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ مريم: ٦، فتكون هذه الدعوات التي في هذه الآيات معمولاً بها مستجابة في حقك إن دعوت بها أو لم تدع، إذ هى في محلها وأهلها، وأولى من يعامل بهذه النعمة ويقابل بها من كان أهلاً لهذه المنزلة، وأقيم في هذا المقام وقدر له من الفضل والقرب هذا المقدار، وكذلك إن قدر مجئ شئ من الدنيا وإقبالها لا يضر إذ ذاك، فما هو قسمك منها فلا بد من تناوله وتصفيته لك بفعل الله عز وجل، وورود الأمر يتناوله وأنت ممثّل للأمر مثاب على تناوله، كما تثاب على فعل صلوات الفرض وصيام الفرض، وتؤمر فيما ليس بقسمك منها بصرفه إلى أربابه من الأصحاب والجيران والإخوان المستحقين الفقراء منهم وأصحاب الأقسام على ما يقتضى الحال، فالأحوال تكشفها وتميزها، ليس الخبر كالمعاينة. فحينئذ تكون من أمرك على بيضاء نقية لا غبار عليها ولا تلبس ولا تخليط ولا شك ولا ارتياب، فالصبر الصبر، الرضا الرضا، حفظ الحال حفظ الحال، الخمول الخمول، الخمود الخمود، السكوت السكوت، الصموت الصموت، الحذر الحذر، النجا النجا، الوحا الوحا، الله الله ثم الله، الإطراق الإطراق الإغماض الإغماض الحياء الحياء إن يبلغ الكتاب أجله، فيؤخذ بيدك فتقدم وينزع عنك ما عليك ثم تغوص في بحار الفضائل والمنن والرحمة ثم تخرج منها فتخلع عليك الأنوار والأسرار والعلوم والغرائب المدنية، ثم تقرب وتحدث فيه بإعلام وإلهام وتكلم وتعطى وتغنى وتشجع وترفع، وتخطب بـ ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ يوسف: ٥٤، فحينئذ أعتبر حالة يوسف الصديق عليه السلام حين خوطب بهذا الخطاب على لسان ملك مصر وعظيمها وفرعونها، كان لسان الملك قائلاً معبراً بهذا الخطاب والمخاطب هو الله عز وجل على

لسان المعرفة، سلم إليه المالك الظاهر وهو ملك مصر، وملك النفس وملك المعرفة والعلم والقربة والخصوصية وعلو المنزلة عنده عز وجل. قال تعالى في ملك الملك: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ يوسف ٥٦، أى فى أرض مصر ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف ٥٦، قال تعالى فى ملك النفس: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف ٢٤، وقال تعالى فى ملك المعرفة والعلم: ﴿ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ يوسف ٣٧، فإذا خوطبت بهذا الخطاب يا أيها الصديق الأكبر، أعطيت الحظ الأوفر، من العلم الأعظم، ومنحت وهنيت بالتوفيق والمن والقدرة والولاية العامة، والأمر النافذ على النفس وغيرها من الأشياء والتكوين، بإذن إله الأشياء فى الدنيا قبل الآخرة. وأما فى الأخرى فى دار السلام والجنة العليا، فالنظر إلى وجه المولى الكريم زيادة ومنة، وهو المنى الذى لا غاية له ولا منتهى، والله الموفق لحقائق ذلك، إنه رؤوف رحيم.



## المقالة السابعة والعشرون

### فى أن الخير والشر ثمرتان

قال ﷺ: أ جعل الخير والشر ثمرتين من غصنين من شجرة واحدة، أحد الغصنين يثمر حلواً والآخر مرراً، فاترك البلاد والأقاليم ونواحى الأرض التى يحمل إليها هذه الثمار المأخوذة من هذه الشجرة، وابعدها منها ومن أهلها واقترب من الشجرة وكن سائسها وخادمها القائم عندها، واعرف الغصنين والثمرتين والجانبين، فكن إلى جانب الغصن المثمر حلواً، فحينئذ يكون غذاؤك وقوتك منها، واجتنب أن تقدم إلى جانب الغصن الآخر فتأكل من ثمرته فتهلك من مرارتها، فإذا دمت على هذا كنت فى دعة وأمن وراحة وسلامة من الآفات كلها، إذ الآفات وأنواع البلايا تتولد من تلك الثمرة المرة، وإذا غبت عن تلك الشجرة وهمت فى الآفاق وقدم بين يديك من تلك الثمرتين وهى مخلطة غير متميزة الحلوة من المرة هنا فتناولت منها، فربما

وقعت يدك على المرة فأدنيتهما من فيك فأكلت منها جزءاً ومضغته، فسرت المرة إلى أعماق لهواتك وباطن حلقك وخياشيمك، فعملت فيك وسرت في عروقك وأجزاء جسدك فهلكت بها، ولفظك الباقي من فيك وغسل أثره لا ينفع لا ويدفع عنك ما قد سرى في جسدك ولا ينفعك، وإن أكلت ابتداء من الثمرة الحلوة وسرت حلاوتها في أجزاء جسدك وانتفعت بها وسرت فلا يكفيك ذلك، فلا بد تتناول غيرها ثانياً، فلا تأمن أن تكون الثانية من المرة فيحل بك ما ذكرته لك، فلا خير في البعد عن الشجرة والجهل بثمرتها والسلامة في قربها والقيام معها، فالخير والشر بفعل الله عز وجل، والله هو فاعلها ومجريها. قال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ الصافات ٩٦، وقال النبي ﷺ: (الله خلق المجازر وجزوره) وأعمال العباد خلق الله عز وجل وكسبهم. قال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النحل ٣٢، سبحانه ما أكرمه وأرحمه أضاف العمل إليهم وأنهم استحقوا الدخول إلى الجنة بعملهم، وهو بتوفيقه ورحمته لهم في الدنيا والآخرة.

قال ﷺ: (لا يدخل الجنة أحد بعمله، فقليل له ولا أنت يا رسول الله؟ فقال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، ووضع يده على رأسه)، مروى ذلك في حديث عائشة رضی الله عنها، فإذا كنت طائعاً لله عز وجل ممتثالاً لأمره منتهياً لنهيهِ مسلماً له في قدره، حماك عن شره وتفضل عليك بخيره وحماك عن الأسواء جميعها ديناً ودنياً. أما دنيا فقلوه تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف ٢٤، وأما ديناً فقلوه عز وجل: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ النساء ١٤٧، مؤمن شاكر ما يفعل البلاء عنده وهو إلى العافية أقرب من البلاء، لأنه في حمل المزيد أيضاً لأنه شاكر. قال الله عز وجل: ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم ٧، فإيمانك يطفئ لهب النار في الآخرة التي هي عقوبة كل عاص، فكيف لا يطفئ نار البلايا في الدنيا؟ اللهم إلا أن يكون العبد من المجذوبين المختارين للولاية والاصطفاء والاجتباء، فلا بد من البلاء ليصفى به من خبث الهوى والميل إلى الطباع، والركون إلى شهوات النفس ولذاتها، والطمأنينة إلى الخلق والرضا بقربهم، والسكون إليهم والثبوت معهم والفرح بهم، فيبتلى حتى يذوب جميع ذلك، ويتنظف القلب بخروج الكل، ويبقى توحيد

الرب عز وجل ومعرفته وموارد الغيب من أنواع الأسرار والعلوم وأنوار القرب، لأنه بيت لا يسعه اثنان، قال الله عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ﴾ الأحزاب ٤، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ النمل ٣٤، فأخرجوا الأعزة عن طيب المنازل ونعيم العيش، وكانت الولاية على القلب للشيطان والهوى والنفس والجوارح متحركة بأمرهم من أنواع المعاصي والأباطيل والترهات فزالت تلك الولاية فسكنت الجوارح وفرغت دار الملك التي هي القلب وتنظفت الساحة التي هي الصدر. فأما القلب فصار مسكناً للتوحيد والمعرفة والعلم. وأما الساحة فمهبط الموارد والعجائب من الغيب، كل ذلك نتيجة البلايا وثمراتها، قال النبي ﷺ: (إنا معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل) وقال ﷺ: (أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خوفاً) فكل من قرب من الملك اشتد خطره وحذره، لأنه في مرأى من الملك لا يخفى عليه تصاريفه وحركاته. فإن قلت: فالخلق عند الله عز وجل بأجمعهم كشخص واحد لا يخفى عليه منهم شيء، فأى فائدة لهذا الكلام؟

فنقول لك: لما علت منزلته وشرفت رتبته عظم خطره، لأنه وجب عليه شكر ما أولاه من جسيم نعمه وفضله فأدنى الالتفات عن خدمته تقصير في شكره وذلك نقصان في طاعته، قال الله عز وجل: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَن يَأْتِ مِنْكُنْ بِفَحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ الأحزاب ٣٠، قال ذلك لمن لتمام نعمه عز وجل عليهن باتصاھن بالنبي ﷺ فكيف من كان مواصلاً بالله عز وجل وقربه، تعالى الله علواً كبيراً عن التشبيه بخلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى ١١، والله الهادي.





## المقالة الثامنة والعشرون

### في تفصيل أحوال المريد

قال عليه السلام: أتريد الراحة والسرور والدعة والحبور، والأمن والسكون والنعيم والدلال وأنت بعد في كير السبك والتذويب وتمويت النفس ومجانبة الهوى وإزالة المرادات والأعواض دنيا وأخرى وقد بقيت فيك بقية من ذلك ظاهرة لائحة؟ على رسلك يا مستعجل مهلاً مهلاً، يا مترقب الباب مسدود إلى ذلك، وقد بقيت عليك منه وفيك ذرة ومنه المكاتب عبد ما بقى عليه درهم، أنت مصدود عن ذلك ما بقى عليك من الدنيا مقدار مص نواة، والدنيا هواك ومرادك، ورؤيتك بشئ من الأشياء أو طلبك بشئ من الأشياء وتشوق نفسك إلى شئ من الأعواض دنيا وأخرى، فما دام فيك شئ من ذلك فأنت في باب الإفناء، فاسكن حتى يحصل الفناء على التمام والكمال، فتخرج من الكير وتكمل صياغتك وتجلي وتكسى وتطيب وتبخر، ثم ترفع إلى الملك الأكبر فتخاطب: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ يوسف ٥٤، فتوأنس وتلاطف، وتطعم من الفضل ومنه وتسقى وتقرب وتدنى وتطلع على الأسرار وهي عنك لا تخفى فتغتنى بما نعطي من ذلك عن جميع الأشياء، ألا ترى إلى قراضة الذهب متفرقة مبتذلة متداولة غادية رائحة في أيدي العطارين والبقالين والقصابين والدباغين والنقاطين والكناسين والكفافين أصحاب الصنائع النفيسة والرذيلة الدنية الخبيثة، ثم تجمع فتجعل في كير الصائغ فتذوب هناك بإشعال النار عليها، ثم تخرج منه فتطرق وترقق وتطلع وتصاك فتجعل حلياً، ثم تجلى وتطيب فتترك في خير المواضع والأمكنة من وراء الأغلاق في الخزائن والصناديق والأحقاق وتجلي بها العروس وتزين وتكرم، وقد تكون العروس للملك الأعظم فتنتقل القراضة من هذه إلى قرب الملك ومجلسه بعد السبك والدق، هكذا أنت يا مؤمن إذا صبرت على مجارى الأقدار فيك ورضيت بالقضاء في جميع الأحوال قربت إلى مولاك عز وجل في الدنيا، فتنعم بالمعرفة والعلوم والأسرار، وتسكن في الآخرة دار السلام مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في جوار الله وداره وقربه عز وجل، فاصبر ولا تستعجل، وأرض بالقضاء ولا تتهم، فسينالك برد عفو الله ولطفه وكرمه بمنه تعالى.



## المقالة التاسعة والعشرون

### في قوله ﷺ كاد الفقر أن يكون كفرا

قال ﷺ: يؤمن العبد بالله ويسلم الأمور كلها إليه عز وجل، ويعتقد تسهيل الرزق منه وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطاه لم يكن ليصبه، ويؤمن بقوله عز وجل ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ الطلاق ٢ و٣، ويقول ذلك ويؤمن به وهو في حال العافية والغنى ثم يبتليه الله عز وجل بالبلاء والفقر فيأخذ في السؤال والتضرع فلا يكشفها عنه فحينئذ يتحقق قوله ﷺ: (كاد الفقر أن يكون كفراً) فمن تلطف الله به كشف عنه ما به فأدركه بالعافية والغنى ويوفقه للشكر والحمد والثناء ويديم له ذلك إلى اللقاء. ومن يرد الله فتنته يديم بلاءه وفتنته وفقره فيقطع عنه مدد إيمانه فيكفر بالاعتراض والتهمة له عز وجل والشك في وعده فيموت كافراً بالله عز وجل جاحداً لآياته ومسخطاً على ربه، وإليه أشار رسول الله ﷺ بقوله: (أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل جمع الله له بين فقر الدنيا وعذاب الآخرة) نعوذ بالله من ذلك وهو الفقر المنسى الذي استعاذ منه النبي ﷺ.

والرجل الثاني هو الذي أراد الله عز وجل اصطفاؤه واجتباؤه وجعله من خواصه وأحبائه وأخلائه ووارث أنبيائه وسيد أوليائه ومن عظماء عبادته وعلماؤهم وحكمائهم وشفعائهم وشيوخهم ومتبوعهم ومعلمهم وهادئهم إلى مولاهم ومرشدهم إلى سبل الهدى واجتناب سبل الردى فأرسل إليه جبال الصبر وبحار الرضا والموافقة والغنى في قضائه وفعله ثم يدركه بجزيل العطاء ويدلله في آناء الليل وأطراف النهار في الجلوة والخلوة في الظاهر مرة والباطن أخرى بأنواع اللطف وفنون المجذبات فيتصل له ذلك إلى حين اللقاء والله الهادي.



## المقالة الثلاثون

### في النهي عن قول الرجل أى شئ أعمل وما الحيلة

قال ﷺ: ما أكثر ما نقول أى شئ أعمل؟ وما الحيلة؟ فيقال لك: قف مكانك ولا تجاوز حدك حتى يأتيك الفرج ممن أمرك بالقيام فيما أنت فيه، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران ٢٠٠، أمرك بالصبر يا مؤمن ثم بالمصابرة والمرابطة والمحافظة والملازمة له ثم حذر تركه فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ترك ذلك، أى لا تتركوا الصبر فإن الخير والسلامة فيه، وقال النبي ﷺ: (الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد). وقيل: كل شئ ثوابه بمقدار إلا ثواب الصبر فإنه جزاف غير مقدر لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَنِّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر ١٠، فإذا اتقيت الله عز وجل حفظك للصبر ومحافظة الحدود وأنجز لك ما وعدك في كتابه وهو قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ الطلاق ٣، وكنت بصرك حتى يأتيك الفرج من المتوكلين وقد وعدك الله عز وجل بالكفاية فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ الطلاق ٣، وكنت مع صبرك وتوكلك من المحسنين وقد وعدك بالجزاء فقال عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ القصص ١٤، ويحبك الله مع ذلك لأنه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة ١٩٥، فالصبر رأس كل خير وسلامة دنيا وأخرى، ومنه يترقى المؤمن إلى حالة الرضى والموافقة ثم الفناء في أفعال الله عز وجل حالة البدلية والغيبة، فاحذر أن تتركه فيخذلك في الدنيا والآخرة ويفوتك خيرهما نعوذ بالله من ذلك.



## المقالة الحادية والثلاثون

### في البغض في الله

قال ﷺ: إذا وجدت في قلبك بغض شخص أو حبه فأعرض أعماله على الكتاب والسنة، فإن كانت فيهما مبغوضة وأنت تبغضه فأبشر بموافقتك الله عز وجل ورسوله، وإن كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تبغضه فاعلم بأنك صاحب هوى، تبغضه بهواك ظالماً له ببغضك إياه، وعاصٍ لله عز وجل ولرسوله تخالف لهما فتب إلى الله عز وجل من بغضك واسأله عز وجل محبة ذلك الشخص وغيره من أحبائه وأوليائه وأصفيائه والصالحين من عباده، لتكون موافقاً له عز وجل، وكذلك أفعَل فيمن تحبه يعنى أعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن كانت محبوبة فيهما فأحبه. وإن كانت مبغوضة فابغضه. كيلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك وقد أمرت بمخالفة هواك قال عز وجل: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ص ٢٦ .



## المقالة الثانية والثلاثون

### في عدم المشاركة في محبة الحق

قال ﷺ: ما أكثر ما تقول كل من أحبه لا تدوم محبتي إياه فيحال بيننا إما بالغيبة أو بالموت أو بالعداوة وأنواع المال بالتلف والفوات من اليد، فيقال لك: أما تعلم يا محبوب الحق المعنى المنظور إليه المغار عليه، ألم تعلم أن الله عز وجل غيور خلقك وتروم أن تكون لغيره، أما سمعت قوله عز وجل: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ المائدة ٥٤، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات ٥٦، أما سمعت قول الرسول ﷺ: (إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر افتناه، قيل يا رسول الله وما افتناه، قال لم يذر له مالا ولا ولداً)، وذلك لأنه إذا كان له مال وولد أحبهما فتنقص وتجزى فتصير مشتركة بين الله عز وجل وبين غيره والله تعالى لا يقبل الشريك وهو غيور قاهر فوق كل شيء غالب لكل شيء، فيهلك شريكه ويعدمه ليخلص قلب عبده له

من غير شريك، فيتحقق حينئذ قوله عز وجل: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ المائدة: ٥٥، حتى إذا تنظف القلب من الشركاء والأنداد من الأهل والمال والولد واللذات والشهوات وطلب الولايات والرياسات والكرامات والحالات والمنازل والمقامات والجنان والدرجات والقربات والزلفات فلا يبقى في القلب إرادة ولا أمنية يصير كالإناء المنثلم الذي لا يثبت فيه مائع لأنه أنكسر لفعل الله عز وجل كلما تجمعت فيه إرادة كسرهما فعل الله وغيرته فضربت حوله سرادقات العظمة والجبروت والهيبة وأحضرت من دونها خنادق الكبرياء والسطوة فلم يخلص إلى القلب إرادة شئ من الأشياء والكرامات والحكم والعلم والعبادات فإن جميع ذلك يكون خارج القلب فلا يغار الله عز وجل بل يكون جميع ذلك كرامة من الله لعبده ولطفاً به ونعمة ورزقاً ومنفعة للواردين عليه فيكرمون به ويرحمون ويحفظون لكرامته على الله عز وجل فيكون خفياً لهم وكنفاً وحرزاً وشفيعاً دنيا وأخرى.

\*\*\*

### المقالة الثالثة والثلاثون

## في تقسيم الرجال إلى أربعة أقسام

قال ﷺ الناس أربعة رجال:

رجل: لا لسان له ولا قلب وهو العاصي الغر الغبي لا يعبأ الله به، لا خير فيه، وهو وأمثاله حثالة لا وزن لهم إلا أن يعمهم الله عز وجل برحمته، فيهدي قلوبهم للإيمان به ويحرك جوارحهم بالطاعة له عز وجل. فاحذر أن تكون منهم، ولا تكثر بهم ولا تقم فيهم فإنهم أهل العذاب والغضب والسخط، سكان النار وأهلها، نعوذ بالله عز وجل منهم، إلا أن تكون من العلماء بالله عز وجل ومن معلمي الخير وهداة الدين وقواده ودعائه، فدونك فأتهم وادعهم إلى طاعة الله عز وجل، وحذرهم معصيته، فتكتب عند الله حينئذ جهبذاً، فتعطى ثواب الرسل والأنبياء، قال رسول الله ﷺ لأمر المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه: (لأن يهدي الله بهداك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس).

الرجل الثاني: رجل له لسان بلا قلب فينطق بالحكمة ولا يعمل بها، يدعو الناس إلى الله وهو يفر منه عز وجل، يستقبح عيب غيره ويداوم هو على مثله في نفسه، يُظهر للناس تنسكاً ويبارز الله عز وجل بالعظائم من المعاصي، إذا خلا كأنه ذئب عليه ثياب، وهو الذي حذر منه النبي ﷺ بقوله: (أخوف ما أخاف على أمتي من منافق عليم اللسان). وفي حديث آخر: (أخوف ما أخاف على أمتي من علماء السوء). نعوذ بالله من هذا، فابعد عنه وهرول، لئلا يختطفك بلذيق لسانه فتحرقك نار معاصيه، ويقتلك نتن باطنه وقلبه.

والرجل الثالث: قلب بلا لسان، وهو مؤمن ستره الله عز وجل عن خلقه، وأسبل عليه كنفه، وبصره بعيوب نفسه ونور قلبه، وعرفه غوائل مخالطة الناس وشؤم الكلام والنطق، وتيقن أن السلامة في الصمت والانزواء والانفراد، وسمع قول النبي: (من صمت نجا). وسمع قول بعض العلماء: العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت فهذا رجل ولى الله عز وجل، في ستر الله محفوظاً ذو سلامة وعقل وافر، جليس الرحمن منعم عليه، فالخير كل الخير عنده، فدونكه ومصاحبته ومخالطته وخدمته والتحبب إليه بقضاء حوائج تسنح له ومرافق يرتفق بها، فيحبك الله ويصفيك، ويدخلك في زمرة أحبائه وعباده الصالحين ببركته إن شاء الله تعالى.

والرجل الرابع: المدعو في الملكوت بالعظيم، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: (من تعلم وعلم وعمل، دعى في الملكوت عظيماً). وهو العالم بالله عز وجل وآياته، استودع الله عز وجل قلبه غرائب علمه، وأطلعته على أسرار طواها عن غيره، واصطفاه واجتباها وجذبته إليه ورقاه، وإلى باب قُربه هداها، وشرح صدره لقبول تلك الأسرار والعلوم، وجعله جهبذاً وداعياً للعباد ونذيراً لهم وحجة فيهم، هادياً مهدياً شافعاً مشفعاً صادقاً صديقاً، بدلاً لرُسله وأنبيائه عليهم صلواته وسلامه وتحياته وبركاته. فهذه هي الغاية القصوى في بنى آدم، لا منزلة فوق منزلته إلا النبوة، فعليك به وأحذر أن تخالفه وتنافره وتجانبه وتعاديه، وتترك القبول منه والرجوع إلى نصيحته وقوله، فإن السلامة فيما يقول عنده، والهلاك والضلال عند غيره، إلا من يوفقه الله عز وجل ويمده بالسداد والرحمة.

فقد قسمت لك الناس، فانظر لنفسك إن كنت ناظراً، واحترز لها إن كنت محترزاً لها شقيقاً عليها، هداها الله وإياك لما يحبه ويرضاه.

## في النهي عن السخط على الله تعالى

قال عليه السلام: ما أعظم تسخطك على ربك وتهمتك له عز وجل، واعتراضك عليه وانتسابك له عز وجل بالظلم، واستبطائك في الرزق والغنى وكشف الكروب والبلوى، أما تعلم أن لكل أجل كتاب، ولكل زيادة بلية وكربة غاية منتهى ونفاد، لا يتقدم ذلك ولا يتأخر، أوقات البلى لا تقلب فتصير عوافي ووقت البؤس لا ينقلب نعيماً، وحالة الفقر لا تستحيل غنى.

أحسن الأدب والزم الصمت والصبر والرضا والموافقة لربك عز وجل، وتب عن تسخطك عليه وتهمتك له في فعله، فليس هناك استيفاء وانتقام من غير ذنب، ولا عرض على الطبع كما هو في حق العبيد بعضهم في بعض، هو عز وجل منفرد بالأزل وسبق الأشياء، خلقها وخلق مصالحها ومفاسدها وعلم ابتداءها وانتهاءها وانقضاءها، وهو عز وجل حكيم في فعله متقن في صنعه لا تناقض في فعله، لا يفعل عبثاً ولا يخلق باطلاً لعباً، ولا تجوز عليه النقائص ولا اللوم في أفعاله، فانتظر الفرج حتى إن عجزت عن موافقته وعن الرضا والغنى في فعله حتى يبلغ الكتاب أجله، فتسفر الحالة عن ضدها بمرور الزمان وانقضاء الآجال، كما ينقضي الشتاء فيسفر عن الصيف، وينقضي الليل فيسفر عن النهار، فإذا طلبت نور ضوء النهار ونوره بين العشاءين لم تعطه، بل يزداد في ظلمة الليل حتى إذا بلغت الظلمة غايتها وطلع الفجر وجاء النهار بضوئه طلبت ذلك وأردته وسكت عنه وكرهته، فإن طلبت إعادة الليل حينئذ لم تجب دعوتك ولم تعطه لأنك طلبت الشيء في غير حينه ووقته فتبقى حسيراً منقطعاً متسخطاً خجلاً، فأرخ هذا كله والزم الموافقة وحسن الظن بربك عز وجل والصبر الجميل، فما كان لك لا تسلبه، وما ليس لك لا تُعطاه. لعمرى إنك تدعو وتبتهل إلى ربك عز وجل بالدعاء والتضرع وهما عبادة وطاعة امتثالاً لأمره عز وجل في قوله تعالى: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ غافر ٦٠، وقوله تعالى: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النساء ٣٢، وغير ذلك من الآيات والأخبار، أنت تدعو وهو يستجيب لك عند حينه وأجله إذا أراد، وكان لك في ذلك مصلحة في دنياك

وأخراك ويوافق في ذلك قضاءه وانتهاء أجله، لا تتهمة في تأخير الإجابة ولا تسأم من دعائه، فإنك إن لم تربح لم تخسر، وإن لم يجبك عاجلاً أثابك آجلاً، فقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: (والعبد يرى في صحائفه حسنات يوم القيامة لا يعرفها فيقال له إنها بدل سؤالك في الدنيا الذي لم يقدر قضاؤه فيها) أو كما ورد، ثم أقل أحوالك أنك تكون ذاكراً لربك عز وجل موحداً له حيث تسأله ولا تسأل أحداً غيره، ولا تترك حاجتك لغيره تعالى، فأنت بين الحالتين في زمانك كله ليلك ونهارك وصحتك وسقمك وبؤسك ونعمائك وشدتك ورخائك، وإما أن تمسك عن السؤال، وترضى بالقضاء وتوافق وتسترسل لفعله عز وجل، كالميت بين يدي الغاسل، والطفل الرضيع في يدي الظئر، والكرة بين يدي الفارس يقلبها بصولجانه، فيقبلك القدر كيف يشاء، إن كان النعماء فمك الشكر والثناء ومنه عز وجل المزيد في العطاء، كما قال تعالى: ﴿لَنْ شُكِرْتُمْ إِلَّا زَيْدَنْكُمْ﴾ إبراهيم<sup>٧</sup>، وإن كان البأساء فالصبر والموافقة منك بتوفيقه والتثبت والنصرة والصلاة والرحمة منه عز وجل بفضلته وكرمه، كما قال عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة<sup>١٥٣</sup>، بنصره وتثبيتته، وهو لعبده ناصر له على نفسه وهواه وشيطانه. وقال تعالى: ﴿إِنْ تَضَرَّوْا اللَّهَ يَضُرَّكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد<sup>٧</sup>، إذا نصرت الله في مخالفة نفسك وهواك بترك الاعتراض عليه والسخط بفعله فيك وكنت خصماً لله على نفسك سيافاً عليها كلما تحركت بكفرها وشركها حززت رأسها بصبرك وموافقتك لربك والطمأنينة إلى فعله ووعدته والرضا بهما كان عز وجل لك معيناً. وأما الصلاة والرحمة، فقلوه عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المتهتدون﴾ البقرة<sup>١٥٥-١٥٦-١٥٧</sup>، والحالة الأخرى أنك تبتهل إلى ربك عز وجل بالدعاء والتضرع إعظماً له وامتنالاً لأمره، وفيه وضع الشئ في موضعه، لأنه ندبك إلى سؤاله والرجوع إليه، وجعل ذلك مستراحاً ورسولاً منك إليه وموصلة ووسيلة لديه بشرط ترك التهمة والسخط عليه عند تأخير الإجابة إلى حينها، اعتبر ما بين الحالتين ولا تكن ممن تجاوز عن حديهما، فإنه ليس هناك حالة أخرى، فاحذر أن تكون من الظالمين المعتدين فيهلكك عز وجل ولا يبالي كما أهلك من مضى من الأمم السالفة في الدنيا بتشديد بلائه وفي الآخرة بأليم عذابه.





## المقالة الخامسة والثلاثون

### في الورع

قال عليه السلام: عليك بالورع وإلا فاهلاك في زيقك ملازم لك لا تنجو منه أبداً إلا أن يتغمدك الله تعالى برحمته، فقد ثبت في الحديث المروى عن النبي ﷺ أنه قال: (إن ملاك الدين الورع، وهلاكه الطمع، وإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، كالراتع إلى جنب الزرع يوشك أن يمد فاه إليه لا يكاد أن يسلم الزرع منه)، وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: كنا نترك سبعين باباً من المباح مخافة أن نقع في الجناح، وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام، فعلوا ذلك تورعاً في مقارنة الحرام أخذاً بقول النبي: (لكل ملك حمى) وإن حمى الله محارمه، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فمن دخل حصن الملك فجاز الباب الأول ثم الثاني والثالث حتى قرب من سدته، خير ممن وقف على الباب الأول الذي يلي البر، فإنه إن أغلق عنه غلق الباب الثالث لم يضره وهو من وراء بابين من أبواب القصر ومن دونه حراس الملك وجنده، وأما إذا كان على الباب الأول فأغلقوا عنه بقى في البر وحده فأخذته الذئاب والأعداء وكان من الهالكين، فهكذا من سلك العزيمة ولازمها. إن سلب عنه مدد التوفيق والرعاية وانقطعت عنه، حصل في الرخص ولم يخرج عن الشرع، فإذا أدركته المنية كان على العبادة والطاعة ويشهد له بخير العمل، ومن وقف على الرخص ولم يتقدم إلى العزيمة إن سلب عنه التوفيق فقطعت عنه أمداده فغلب الهوى عليه وشهوات النفس، فتناول الحرام خرج من الشرع، فصار في زمرة الشياطين أعداء الله عز وجل الضالين عن سبل الهدى، فإن أدركته المنية قبل التوبة كان من الهالكين إلا أن يتغمده الله تعالى برحمته وفضله، فالخطر في القيام مع الرخص، والسلامة كل السلامة مع العزيمة، والله الهادي إلى سواء الطريق.

\*\*\*

## في بيان الدنيا والآخرة وما ينبغي أن يعمل فيهما

قال ﷺ: أجعل آخرتك رأس مالك ودنياك ربحه، وأصرف زمانك أولاً في تحصيل آخرتك. ثم إن فضل من زمانك شئ أصرفه في دنياك وفي طلب معاشك، ولا تجعل دنياك رأس مالك وآخرتك ربحه. ثم إن فضل من الزمان فضلة صرفتها في آخرتك تقتضى فيها الصلوات تسبكها سبيكة واحدة ساقطة الأركان، مختلفة الواجبات من غير ركوع وسجود وطمأنينة بين الأركان، أو يلحقك التعب والإعياء فتنام عن القضاء جملة، جيفة في الليل بطلاً في النهار تابعاً لنفسك وهواك وشيطانك، وبائعاً آخرتك بدنياك عند النفس ومطيتها، أمرت بركوبها وتهذيبها ورياضتها والسلوك بها في سبيل السلامة وهي طرق الآخرة وطاعة مولاهما عز وجل فظلمتها بقبولك منها وسلمت زمامها إليها وتبعتها في شهواتها ولذاتها وموافقتها وشيطانها وهواها، ففاتك خير الدنيا والآخرة وخسرتها فدخلت القيامة أفلس الناس وأخسرهم ديناً ودنياً، وما وصلت بمتابعتها إلى أكثر من قسمك من دنياك، ولو سلكت بها طريق الآخرة وجعلتها رأس مالك ربحت الدنيا والآخرة ووصل إليك قسمك من الدنيا هنيئاً مريئاً وأنت مصون مكرم، كما قال النبي: (إن الله يعطى الدنيا على نية الآخرة ولا يعطى الآخرة على نية الدنيا) وكيف لا يكون كذلك ونية الآخرة هي طاعة الله لأن النية روح العبادات وذاتها.

وإذا أطعت الله بزهدك في الدنيا أو طلبك دار الآخرة كنت من خواص الله عز وجل وأهل طاعته ومحبه، وحصلت لك الآخرة وهي الجنة وجوار الله عز وجل وخدمتك الدنيا فيأتيك قسمك الذي قُدر لك منها، إذ الكل تبع لمخالقها ومولاهما وهو الله عز وجل، وإن اشتغلت بالدنيا وأعرضت عن الآخرة غضب الرب عليك ففاتتك الآخرة وتعاصت الدنيا عليك وتعسرت وأتعبتك في إيصال قسمك إليك لغضب الله عز وجل عليك لأنها مملوكته، تهين من عصاه وتكرم من أطاعه فيتحقق حينئذ قوله ﷺ: (الدنيا والآخرة ضربان، إن أرضيت إحداها أسخطت عليك الأخرى)، قال تعالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ آل

عمران<sup>١٥٢</sup>، يعنى به أبناء الآخرة، فانظر من أبناء أيها أنت؟ ومن أى القبيلتين تحب أن تكون وأنت فى الدنيا؟ ثم إذا صرت إلى الآخرة فالخلق فريقان فريق فى طلب الدنيا وفريق فى طلب الآخرة، وهم أيضاً يوم القيامة فريقان ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ الشورى<sup>٧</sup>، فريق فى الموقف قيام فى طول الحساب ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ المعارج<sup>٤</sup>، مما تعدون كما قال تعالى، وفريق فى ظل العرش كما أخبر النبى ﷺ: (إنكم تكونون يوم القيامة فى ظل العرش عاكفون على الموائد، عليها أطايب الطعام والفواكه والشهد أبيض من الثلج)، كما جاء فى الحديث: (وينظرون منازلهم فى الجنة حتى إذا فرغ من حساب الخلق دخلوا الجنة، يهتدون إلى منازلهم كما يهتدي أحد الناس فى الدنيا إلى منزله)، فهل وصلوا إلى هذه إلا بتركهم الدنيا واشتغالهم بطلب الآخرة والمولى. وهل وقعوا أولئك فى الحساب وأنواع الشدائد والذل إلا لاشتغالهم بالدنيا ورغبتهم فيها وزهدهم فى الآخرة وقلة المبالاة بأمرها ونسيان يوم القيامة وما سيصيرون إليه غداً مما ذكر فى الكتاب والسنة.

فانظر لنفسك نظر رحمة وشفقة، واختر لها خير القبيلتين وأفردها عن أقران السوء من شياطين الإنس والجن، واجعل الكتاب والسنة أمامك وانظر فيها واعمل بهما، ولا تغتر بالقال والقليل والهوس، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ الحشر<sup>٧</sup>، ولا تخالفوه فتركوا العمل بما جاء به وتخترعوا لأنفسكم عملاً وعبادة كما قال عز وجل فى حق قوم ضلوا سواء السبيل ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ الحديد<sup>٢٧</sup>، ثم إنه زكى هو عز وجل نبيه ﷺ ونزّهه عن الباطل والزور فقال عز وجل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم<sup>٣-٤</sup>، أى ما آتاكم به فهو من عندى لا من هواه ونفسه فاتبعوه، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ آل عمران<sup>٣١</sup>، فبين أن طريق المحبة إتباعه قولاً وفعلاً، فالنبى ﷺ قال: (الاكتساب سُنتى، والتوكل حالتى)، أو كما قال، فأنت بين سنته وحالته وإن ضعف إيمانك فالتكسب الذى هو سنته وإن قوى إيمانك فحالته التى هى التوكل قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ المائدة<sup>٢٣</sup>، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ الطلاق<sup>٣</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران<sup>١٥٩</sup>، فقد أمرك بالتوكل ونبهك عليه كما أمر

نبيه ﷺ في قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ الأحزاب ٣، فاتبع أوامر الله عز وجل في سؤاله في أعمالك فهي مردودة عليك، قال النبي: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) هذا يعلم طلب الرزق والأعمال والأقوال، ليس لنا نبي غيره فنتبعه ولا كتاب غير القرآن فنعمل به، فيضلك هواك والشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ص ٢٦، فالسلامة مع الكتاب والسنة، والهلاك مع غيرهما، وبهما يترقى العبد إلى حالة الولاية والبديلة والغوثية، والله أعلم.

\*\*\*

### المقالة السابعة والثلاثون

## في ذم الحسد والأمر بتركه

قال ﷺ: ما لي أراك يا مؤمن حاسداً لجارك في مطعمه ومشربه وملبسه ومنكحه ومسكنه وتقلبه في غناه ونعم مولاه عز وجل وقسمه الذي قسم له؟! أما تعلم أن هذا مما يضعف إيمانك ويسقطك من عين مولاك عز وجل ويبغضك إليه؟! أما سمعت الحديث المروي على النبي ﷺ أنه قال: قال الله تعالى في بعض ما تكلم به: (الحسود عدو نعمتي)، وما سمعت قول النبي ﷺ: (إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) ثم على أي شيء تحسده يا مسكين؟ أعلى قسمه أم على قسمك؟ فإن حسدته على قسمه الذي قسمه الله له في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الزخرف ٣٢، فقد ظلمته، رجل يتقلب في نعمة مولاه التي تفضل بها عليه وقدرها له ولم يجعل لأحد فيها حظاً ولا نصيباً، فمن يكون أظلم وأبخل وأرعن وأنقص عقلاً منك؟ وإن حسدته على قسمك فقد جهلت غاية الجهل، فإن قسمك لا يعطى غيرك ولا ينتقل منك إليه، حاش لله. قال الله عز وجل: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ق ٢٩، إن الله عز وجل لا يظلمك فيأخذ ما قسم وقدر لك فيعطى غيرك، فهذا جهل منك وظلم لأخيك، ثم حسدك للأرض التي هي معدن الكنوز والذخائر من أنواع الذهب والفضة والجواهر مما جمعتها الملوك المتقدمة من عاد وثمود وكسرى وقيصر أولى من حسدك لجارك المؤمن أو الفاجر، فإن ما في بيته لا يكون جزءاً من أجزاء الف الف جزء مما هناك، فما

حسدك لجارك إلا كمثل رجل رأى ملكاً مع سلطانه وجنوده وحشمه وملكه وعلى أراضى واجباته خراجها وارتفاعها لديه وتنعمه بأنواع النعم واللذات والشهوات فلم يحسده على ذلك ثم رأى كلباً برياً يخدم كلباً من كلاب ذلك الملك يقوم ويقعد ويصيح فيعطى من مطبخ الملك بقايا الطعام ورداءته فيتقوت به، فأخذ يحسده ويعاديه ويتمنى موته وهلاكه وكونه مكانه وأن يخلفه في ذلك خسة ودناءة لا زهداً ودينياً وقناعة، فهل يكون في الزمان رجل أحق منه وأرعن وأجهل؟

ثم لو علمت يا مسكين ما سيلقى جارك غداً من طول الحساب يوم القيامة إن لم يكن أطاع الله فيما حوله وأدى حقه فيها، وامتنال أمره وانتهاء نبيه فيها، واستعان بها على عبادته وطاعته ما يتمنى انه لم يعط من ذلك ذرة ولا رأى نعيماً يوماً قط، أما سمعت ما قد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (ليتمنين أقوام يوم القيامة أن تقرض لحومهم بالمقاريض مما يرون لأصحاب البلاء من الثواب)، فيتمنى جارك غداً مكانك في الدنيا لما يرى من طول حسابه ومناقشته وقيامه خمسين الف سنة في حر الشمس في القيامة، لأجل ما يمتنع به من النعيم في الدنيا وأنت في معزل عن ذلك في ظل العرش آكلاً شارباً متنعماً فرحاً مسروراً مستريحاً، لصبرك على شدائد الدنيا وضيقها وآفاتا وبؤسها وفقرها، ورضاك وموافقتك لربك عز وجل فيما دبر وقضى من فقرك وغناء غيرك، وسقمك وعافية غيرك، وشدتك ورخاء غيرك، وذلك وعز غيرك، جعلنا الله وإياك ممن صبر عند البلاء، وشكر على النعماء، وفوض الأمور إلى رب السماء.

\*\*\*

## المقالة الثامنة والثلاثون

### في الصدق والنصيحة

قال ﷺ: من عامل مولاه بالصدق والنصاح، استوحش مما سواه في المساء والصباح، يا قوم لا تدعوا ما ليس لكم، ووحّدوا ولا تشركوا، والله إن سهام القدر تصيبكم خدشاً لا قتالاً، من كان في الله تلفه فعلى الله خلفه.

## المقالة التاسعة والثلاثون

### في تفسير الشقاق والوفاق والنفاق

قال عليه السلام: الأخذ مع وجود الهوى من غير الأمر عناد وشقاق، الأخذ مع عدم الهوى وفاق واتفاق وتركه رياء ونفاق.

\* \* \*

## المقالة الأربعون

### في متى يصح للسالك أن يكون في زمرة الروحانيين

قال عليه السلام: لا تطمع أن تدخل في زمرة الروحانيين حتى تعادى جملتك، وتباين جميع الجوارح والأعضاء، وتنفرد عن وجودك وحركاتك وسكناتك وسمعك وبصرك وكلامك وبطشك وسعيك وعملك وعقلك، وجميع ما كان منك قبل وجود الروح فيك وما أوجد فيك بعد نفخ الروح، لأن جميع ذلك حجابك عن ربك عز وجل، فإذا صرت روحاً منفردة، سر السر، غيب الغيب، مبايناً للأشياء في شرك، متخذاً لكل عدواً وحجاباً وظلمة كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿فَايْتَهُمْ عَدُوِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ الشعراء ٧٧، قال ذلك للأصنام، فجعل أنت جملتك وأجزاءك أصناماً مع سائر الخلق، فلا تطع شيئاً من ذلك ولا تتبعه جملة، فحينئذ تؤمن على الأسرار والعلوم الدنية وغرائبها، ويرد إليك التكوين وخرق العادات التي هي من قبيل القدرة التي تكون للمؤمنين في الجنة، فتكون في هذه الحالة كأنك أحييت بعد الموت في الآخرة، فتكون كليتك قدرة، تسمع بالله، وتنطق بالله، وتبصر بالله، وتبطش بالله وتسعى بالله، وتقل بالله، وتطمئن وتسكن بالله، فتعمر عن سواه وتصم عنه فلا ترى لغيره وجوداً مع حفظ الحدود والأوامر والنواهي، فإن أنخرم فيك شيء من الحدود فاعلم أنك مفتون متلاعب بك الشياطين، وأرجع إلى حكم الشرع ودع عنك رأى الهوى، لأن كل حقيقة لم تشهد لها الشريعة فهي زندقة، والله أعلم.

\* \* \*

## المقالة الحادية والأربعون

### مثل في الفناء وكيفيته

قال ﷺ نضرب لك مثلاً في الفناء فنقول: ألا ترى أن الملك يولى رجلاً من العوام ولاية على بلدة من البلاد، ويخلع عليه ويعقد له ألوية ورايات، ويعطيه الكؤوس والطبل والجند فيكون على برهة من الزمان، حتى إذا اطمأن واعتقد بقاءه وثباته، وعجب به ونسى حالته الأولى ونقصانه وذله وفقره وخموله، وداخلته النخوة والكبرياء، جاءه العزل من الملك في أشر ما كان من أمره، ثم طالبه الملك بجرائم صنعها وتعدى أمره ونهيه فيها، فحبسه في أضيق الحبوس وأشدّها، وطال حبسه ودام ضره له وذله وفقره، وذابت نخوته وكبرياؤه، وانكسرت نفسه وخمدت نار هواه، وكل ذلك في عين الملك ثم تعطف الملك عليه فنظره بعين الرأفة والرحمة، فأمر بإخراجه من الحبس والإحسان إليه، ورد الخلعة عليه ورد الولاية إليه ومثلها معها وجعلها له موهبة، فدامت له وبقيت مصفاة مكفاة مهناة وكذلك المؤمن إذا قرب الله إليه واجتنبه فتح قبالة عين قلبه باب الرحمة والمنة والإنعام، فيرى بقلبه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من مطالعة الغيوب من ملكوت السموات والأرض وتقريب وكلام لذيذ لطيف ووعد جميل، ووفاء به، وإجابة دعاء وكلمات حكمة وتصديق وعد، فإنها ترمى إلى قلبه قذفاً من مكان بعيد فتظهر على لسانه، ومع ذلك يسبغ عليه نعمة ظاهرة على جسده وجوارحه، في المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح الحلال والمباح وحفظ الحدود والعبادات الظاهرة، فيديم الله عز وجل ذلك لعبده المؤمن المجذوب برهة من الزمان، حتى اطمأن العبد إلى ذلك واغتر به واعتقد دوامه فتح عليه أبواب البلايا وأنواع المحن في النفس والمال والأهل والولد والقلب فينقطع عنه جميع ما كان أنعم الله عليه من قبل، فيبقى متحيراً حسيراً منكسراً مقطوعاً به.

إن نظر إلى ظاهره رأى ما يسوؤه، وإن نظر إلى قلبه وباطنه رأى ما يحزنه، وإن سأل الله تعالى كشف ما به من الضر لم ير إجابته، وإن طلب وعداً جميلاً لم يجده سريعاً وإن وعد بشئ



لم يعثر على الوفاء به، وإن رأى رؤيا لم يظفر بتعبيرها وتصديقها، وإن رام الرجوع إلى الخلق لم يجد إلى ذلك سبيلاً، وإن ظهرت له في ذلك رخصة فعمل بها، تسارعت العقوبات نحوه وتسلطت أيدي الخلق على جسمه وألستهم على عرضه، وإن طلب الإقالة مما قد أدخل فيه من الحالة الأولى قبل الاجتباء لم يقل، وإن طلب الرضا أو الطيبة والتنعم بما به من البلاء لم يعط، فحينئذ تأخذ النفس في الذوبان والهوى في الزوال والإرادة والأمان في الرحيل والأكون في التلاشي، فيدام له ذلك بل يزداد تشديداً وعصراً وتأكيذاً، حتى إذا فني العبد من الأخلاق الإنسانية والصفات البشرية وبقي روحاً فقط يسمع نداءً في باطنه ﴿أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ ص ٤٢، كما قيل لسيدنا أيوب عليه السلام، فيمطر الله عز وجل في قلبه بحار رحمته ورأفته ولطفه ومنته، ويحييه بروحه ويطييه بمعرفته ودقائق علومه، ويفتح عليه أبواب رحمته ونعمته ودلاله، وأطلق إليه الأيدي بالبذل والعطاء والخدمة في سائر الأحوال والألسن بالحمد والثناء، والذكر الطيب في جميع المحال، والأرجل بالترحال، وذلك له وسخر له الملوك والأرباب، وأسبغ عليه نعمة ظاهرة وباطنة، تربيته ظاهرة بخلقه ونعمه، ويستأثره تربيته باطنة بلطفه وكرمه، وأدام له ذلك إلى اللقاء، ثم يدخله فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما قال جلّ وعلا: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السجدة ١٧ •

\*\*\*

## المقالة الثانية والأربعون

### في بيان حالتي النفس

قال ﷺ: النفس لها حالتان لا ثالث لهما: حالة عافية وحالة بلاء، فإذا كانت في بلاء فالجزع والشكوى والسخط والاعتراض والتهمة للحق جل وعلا لا صبر ولا رضى ولا موافقة، بل سوء الأدب والشرك بالحق والأسباب والكفر، وإذا كانت في عافية فالشره والبطر وإتباع الشهوات واللذات، كلما نالت شهوة طلبت أخرى، واستحقرت ما عندها من النعم من مأكول

ومشروب وملبوس ومنكوح ومسكون ومركوب، فتخرج لكل واحدة من هذه النعم عيوباً ونقصاً، وتطلب أعلى منها وأسنى مما لم يقسم لها، وتعرض عما قسم لها، فتوقع الإنسان في تعب طويل، ولا ترضى بما في يديها وما قسم لها، فيرتكب الغمرات ويخوض المهالك في تعب طويل لا غاية له ولا منتهى في الدنيا، ثم في العقبى، كما قيل: إن من أشد العقوبات طلب ما لا يقسم. وإذا كانت في بلاء لا تتمنى سوى انكشافها وتنسى كل نعيم وشهوة ولذة ولا تطلب شيئاً منها، فإذا عوفيت منها رجعت إلى رعونتها وشرها وبطرها وإعراضها عن طاعة ربها وانهاكها في معاصيه، وتنسى ما كانت فيه من أنواع البلاء والضرر وما حل بها من الويل، فتد إلى أشد ما كانت عليه من أنواع البلاء والضرر، لما اجترحت وركبت من العظائم فطماً لها وكفاً عن المعاصي في المستقبل، إذ لا تصلح لها العافية والنعمة بل حفظها في البلاء والبؤس، فلو أحسنت الأدب عند انكشاف البلية ولازمت الطاعة والشكر والرضى بالمقسوم لكان خيراً لها دنيا وأخرى، وكانت تجد زيادة في النعيم والعافية والرضى من الله عز وجل والطيبة والتوفيق، فمن أراد السلامة في الدنيا والأخرى فعليه بالصبر والرضا، وترك الشكوى إلى الخلق وإنزال حوائجه بربه عز وجل ولزوم طاعته وانتظار الفرج منه و الانقطاع إليه عز وجل، إذ هو خير من غيره ومن جميع خلقه، حرمانه عطاء، عقوبته نعماء، بلاؤه دواء، وعده نفذ، قوله فعل مشيئة حاله ﴿إِنَّمَا﴾ وقوله وأمره ﴿أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس ٨٢، كل أفعاله حسنة وحكمة ومصلحة، غير أنه طوى على المصالح من عباده وتفرد به، فالأولى واللائق بحاله والرضى والتسليم، واشتغاله بالعبودية من أداء الأوامر وانتهاء النواهي والتسليم في القدر، وترك الاشتغال في الربوبية التي هي علة الأقدار ومحاربتها، والسكوت عن لم وكيف ومتى؟ والتهمة للحق عز وجل في جميع حركاته وسكناته، وتستند هذه الجملة إلى حديث بن عباس رضى الله عنهما، وهو ما روى عن عطاء بن عباس رضى الله عنهما قال: بينما أنا رديف رسول الله ﷺ إذ قال لى: يا غلام " احفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده أمامك، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما هو كائن " فلو جهد العباد أن يضروك بشئ لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه، فإن استطعت أن تعامل الناس بالصدق واليقين فاعمل، وإن لم تستطع فإن الصبر على ما تكره خيراً كثيراً. واعلم أن النصرة بالصبر والفرج مع الكرب،

وإن مع العسر يسراً، فينبغي لكل مؤمن أن يجعل هذا الحديث مرآة لقلبه وشعاره ودثاره وحديثه، فيعمل به في جميع حركاته وسكناته حتى يسلم في الدنيا والآخرة ويجد العزة فيهما، برحمة الله عز وجل.

\*\*\*

### المقالة الثالثة والأربعون

#### في ذم السؤال من غير الله تعالى

قال قدس الله سره: ما سأل الناس من سأل إلا لجهله بالله عز وجل وضعف إيمانه ومعرفته ويقينه وقلة صبره، وما تعفف من تعفف عن ذلك إلا لوفور علمه بالله عز وجل وقوة إيمانه ويقينه وتزايد معرفته بربه عز وجل في كل يوم ولحظة وحياته منه عز وجل.

\*\*\*

### المقالة الرابعة والأربعون

#### في سبب عدم استجابة دعاء العارف بالله تعالى

قال قدس الله سره: إنما لم يستجب للعارف كلما يسأل ربه عز وجل ويوفى له بكل وعد لئلا يغلب عليه الرجاء فيهلك، لأن ما من حالة ومقام إلا ولذاك خوف ورجاء هما جناحي طائر لا يتم الإيمان إلا بهما وكذلك الحال والمقام، غير أن خوف كل حالة ورجاءها بما يليق بها، فالعارف مقرب وحالته ومقامه أن لا يريد شيئاً سوى مولاه عز وجل ولا يركن ولا يطمئن إلى غيره عز وجل، ولا يستأنس بغيره، فطلبه لإجابة سؤاله والوفاء بعهده غير ما هو بصدده ولائق بحاله ففي ذلك أمران اثنان: أحدهما لئلا يغلب عليه الرجاء والغرة بمكر ربه عز وجل فيغفل عن القيام بالأدب فيهلك، والآخر شره بربه عز وجل يشئ سواه، إذ لا معصوم في العالم في الظاهر بعد الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فلا يجيبه ولا يوفى له كيلاً، يسأل عادة ويريده طبعاً لا امتثال للأمر، لما في ذلك من الشرك والشرك كبيرة في

الأحوال كلها والأقدام جميعها والمقامات بأسرها.

وأما إذا كان السؤال بأمر فذلك مما يزيده قرباً كالصلاة والصيام وغيرهما من الفرائض والنوافل، لأنه يكون في ذلك ممثلاً للأمر.



## المقالة الخامسة والأربعون

### في النعمة والابتلاء

قال ﷺ إن الناس رجلان: منعم عليه ومبتلى بما قضى ربه عز وجل، فالمنعم عليه لا يخلو من المعصية والتكدر فيما أنعم عليه، فهو في أنعم ما يكون من ذلك إذ جاء القدر بما يكدره عليه من أنواع البلايا من الأمراض والأوجاع والمصائب في النفس والمال والأهل والأولاد فيتعظ بذلك، فكأنه لم ينعم عليه قط وينسى ذلك النعيم وحلاوته، وإن كان الغنى قائماً بالمال والجاه والعبيد والإماء والأمن من الأعداء فهو في حال النعماء كأن لا بلاء في الوجود، كل ذلك لجهله بمولاه عز وجل ﴿فَعَالٌ لَّمَّا يُرِيدُ﴾ هود: ١٠٧، يبدل، ويحلى ويمر، ويغنى ويفقر، ويرفع ويخفض، ويعز ويذل ويحيى ويميت، ويقدم ويؤخر. لما اطمأن إلى ما به من النعيم، ولما اغتر به، ولما أيس من الفرج في حالة البلاء، وبجهله أيضاً بالدنيا اطمأن إليها وطلب بها صفاء لا يشوبه كدر، ونسى إنها دار بلاء وتنغيص، وتكاليف وتكدير وأن أصلها بلاء وطارفها نعماء فهي كشجرة الصبر أول ثمرتها مر وآخرها شهد حلو، لا يصل المرء إلى حلاوتها حتى يتجرع مرارتها، فلن يبلغ إلى الشهد إلا بالصبر على المر، فمن صبر على بلائها حلّى له نعيمها، إنما يعطى الأجير أجره بعد عروق جبينه وتعب جسده وكرب روحه وضيق صدره وذهاب قوته وإذلال نفسه وكسر هواه في خدمة مخلوق مثله، فلما تجرع هذه المرائر كلها أعقبت له طيب طعام وإدام وفاكهة ولباس وراحة وسرور ولو أقل قليل، فالدنيا أولها مرة كالصحفة العليا من عسل في ظرف مشوبة بمرارة، فلا يصل الآكل إلى قرار الظرف ويتناول الخالص منه إلا بعد تناول الصحفة العليا، فإذا صبر العبد على أداء أوامر الرب عز وجل وانتهاء نواهيهِ والتسليم

والتفويض فيما يجرى به القدر، وتجرع مرائر ذلك كله وتحمل أثقاله، وخالف هواه وترك مراده، أعقبه الله عز وجل بذلك طيب العيش في آخر عمره والدلال والراحة والعزة، ويتولاه ويغذيه كما يغذى الطفل الرضيع من غير تكلف منه وتحمل مؤنة وتبعة في الدنيا والأخرى كما يتلذذ آكل المر من الصفحة العليا من العسل يأكله من قرار الظرف، فينبغي للعبد المنعم عليه أن لا يأمن مكر الله عز وجل، فيغتر بالنعمة ويقطع بدوامها، ويغفل عن شكرها ويرخي قيدها بتركه لشكرها، قال النبي ﷺ: (النعمة وحشية فقيدها بالشكر)، فشكر نعمة المال الاعتراف بها للمنعم المتفضل وهو الله عز وجل، والتحدث بها لنفسه في سائر الأحوال ورؤية فضله ومنته عز وجل وأن لا يتملك عليه ولا يتجاوز حده فيه، ولا يترك أمره فيه، ثم بأداء حقوقه من الزكاة والكفارة والنذر والصدقة، وإغاثة الملهوف، وافتقاد أرباب الحاجات وأهلها في الشدائد عند تقلب الأحوال وتبدل الحسنات بالسيئات، أعنى ساعات النعيم والرخاء بالبأساء والضراء، وشكر نعمة العافية في الجوارح والأعضاء في الاستعانة بها على الطاعات والكف عن المحارم والسيئات والمعاصي والآثام فذلك قيد النعم عن الرحلة والذهاب، وسقى شجرتها وتنمية أغصانها وأوراقها، وتحسين ثمرتها، وحلاوة طعمها وسلامة عاقبتها، ولذة مضغها، وسهولة بلعها، وتعقب عافيتها وريعها في الجسد، ثم ظهور بركتها على الجوارح من أنواع الطاعات والقربات والأذكار، ثم دخول العبد بعد ذلك في الآخرة في رحمة الله عز وجل، والخلود في الجنان - مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً - فإن لم يفعل ذلك واغتر بما ظهر من زينة الدنيا وبما ذاق من لذتها، واطمأن إلى بريق سراها وما لاح من بريقها وما هب من نسيم أول نهار قيظها، ونعومة جلود حياتها وعقاربها، وغفل وعمى عن سمومها القاتلة المودعة في أعماقها، ومكامناتها ومصايدها المنصوبة لأخذه وحبسه وهلاكه، فليهنأ للردى وليستبش بالعطف والفقر العاجل، مع الذل والهوان في الدنيا والعذاب الآجل في النار ولظى.

وأما المبتلى، فتارة يبتلى عقوبة ومقابلة لجريمة ارتكبها ومعصية اقترفها وأخرى يبتلى تكفيراً وتمحيصاً، وأخرى يبتلى لارتفاع الدرجات وتبليغ المنازل العاليات ليلحق بأولى العلم من أهل

الحالات والمقامات، مما سبقت لهم عناية من رب الخليقة والبريات، وسيرهم مولا هم ميادين البليات على مطايا الرفق والألطاف، وروحهم بنسيم النظرات واللحظات في الحركات والسكنات، إذ لم يكن ابتلاهم للإهلاك والإهواء في الدركات، ولكن أخبرهم بها للاصطفاء والاجتباء واستخراج بها منهم حقيقة الإيمان وصفها وميزها من الشرك والدعاوى والنفاق، ونحلهم بها أنواع العلوم والأسرار والأنوار، فجعلهم من اخلص الخواص، ائتمنهم على أسرارهم، وارتضاهم لمجالسته، قال النبي: (الفقراء الصبر جلساء الرحمن يوم القيامة)، دنيا وأخرى، في الدنيا بقلوبهم وفي الآخرة بأجسادهم، فكانت البلايا مطهرة لقلوبهم من دون الشرك، والتعلق بالخلق والأسباب والأمانى والإرادات، وذوابة لها وسباكة من الدعاوى والهوسات، وطلب الأعواض بالطاعات من الدرجات والمنازل العاليات في الآخرة في الفردوس والجنات.

فعلامة الابتلاء على وجه المقابلة والعقوبات، عدم الصبر عن وجودها والجزع والشكوى إلى الخليقة والبريات.

وعلامة الابتلاء تكفيراً وتمحيصاً للخطيات وجود الصبر الجميل من غير شكوى وإظهار الجزع إلى الأصدقاء والجيران والتضجر بأداء الأوامر والطاعات.

وعلامة الابتلاء ارتفاع وجود الرضا والموافق، وطمأنينة النفس والسكون بفعل إله الأرض والسموات، والفناء فيها إلى حين الانكشاف بمرور الأيام والساعات.



## في قوله عز وجل في الحديث القدسي (من شغله ذكرى) إلى آخره

قال عليه السلام: في قول النبي ﷺ عن ربي عز وجل: (من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين)، وذلك أن المؤمن إذا أراد الله عز وجل اصطفاؤه واجتباؤه، سلك به الأحوال وامتحنه بأنواع المحن والبلايا فيفقره بعد الغنى ويضطره إلى مسألة الخلق في الرزق عند سد جهاته عليه، ثم يصونه عن مسألتهم ويضطره إلى الكسب ويسهله ويسره له فيأكل بالكسب الذي هو السنة، ثم يعسره عليه ويلهمه السؤال للخلق، ويأمره به بأمر باطن يعلمه ويعرفه ويجعل عبادته فيه ومعصيته في تركه، ليزول بذلك هواه وتنكس نفسة وهي حالة الرياضة فيكون سؤاله على وجه الإجبار لا على وجه الشك بالجبار، ثم يصونه عن ذلك ويأمره بالفرض منهم أمراً جزمياً لا يمكنه تركه كالسؤال من قبل ثم ينقله من ذلك ويقطعه عن الخلق ومعاملتهم، فيجعل رزقه في السؤال له عز وجل فيسأله جميع ما يحتاج إليه فيعطيه عز وجل ولا يقطعه إن سكت وأعرض عن السؤال، ثم ينقله من السؤال باللسان إلى السؤال بالقلب فيسأله بقلبه جميع ما يحتاج فيعطيه، حتى إنه لو سأله بلسانه لم يعطه أو سأل الخلق لم يعطوه، يغنيه عنه وعن السؤال جملة ظاهراً وباطناً، فيناديه بجميع ما يصلحه ويقوم به أوده من المأكول والمشروب والملبوس وجميع مصالح البشر من غير أن يكون هو فيها أو تخطر بباله، فيتولاه عز وجل وهو قوله عز وجل ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ الأعراف ١٩٦، فيتحقق حينئذ قوله عز وجل (من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين)، وهي حالة الفناء التي هي غاية أحوال الأولياء والأبدال ثم قد يرد إلى التكوين فيكون جميع ما يحتاج إليه بإذن الله وهو قوله جل وعلا في بعض كتب "يا ابن آدم أنا الله الذي لا إله إلا أنا أقول للشئ كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشئ كن فيكون".



## المقالة السابعة والأربعون

### في التقرب إلى الله تعالى

قال عليه السلام: سألتني رجل شيخ في المنام فقال: أى شئ يقرب العبد إلى الله عز وجل؟ فقلت: لذلك ابتداء وانتهاء فابتدأه الورع وانتهاه الرضى والتسليم والتوكل.

\*\*\*

## المقالة الثامنة والأربعون

### في ما ينبغي للمؤمن أن يشتغل به

قال عليه السلام: ينبغي للمؤمن أن يشتغل أولاً بالفرائض، فإذا فرغ منها اشتغل بالسُنن، ثم يشتغل بالنوافل والفضائل، فما لم يفرغ من الفرائض فلا يشتغل بالسُنن حتى ورعونة، فإن اشتغل بالسُنن والنوافل قبل الفرائض لم يقبل منه وأهين، فمثله مثل رجل يدعوه الملك إلى خدمته فلا يأتى إليه ويقف في خدمة الأمير الذى هو غلام الملك وخادمه وتحت يده وولايته.

عن أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله: (إن مثل مصلى النوافل قبل الفرائض مثل حبل حملت فلما دنا نفاسها أسقطت فلا هى ذات حمل ولا هى ذات ولادة) كذلك المصلى لا يقبل الله له نافلة حتى يؤدي الفريضة. ومثل المصلى كمثال التاجر لا يخلص له ربحه حتى يأخذ رأس ماله، وكذلك المصلى بالنوافل لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة، وكذلك من ترك السنة واشتغل بنافلة لم ترتب مع الفرائض ولم ينص عليها ويؤكد أمرها فمن الفرائض ترك الحرام والشرك بالله عز وجل في خلقه، والاعتراض عليه في قدره وقضائه وإجابة الخلق وطاعتهم، والإعراض عن أمر الله عز وجل وطاعته، قال النبي: (لا طاعة لمخلوق في معصية خالق).

\*\*\*

## المقالة التاسعة والأربعون

### في ذم النوم

قال ﷺ: من اختار النوم على الذى هو سبب اليقظة فقد اختار الأنقص والأدنى واللحوق بالموت والغفلة عن جميع المصالح، لأن النوم أخو الموت ولهذا لا يجوز النوم على الله لما انتفى عز وجل عن النقائص أجمع، وكذلك الملائكة لما قربوا منه عز وجل نفى النوم عنهم، وكذلك أهل الجنة لما كانوا فى أرفع المواضع وأطهرها وأنفسها وأكرمها نفى النوم عنهم لكونه نقصاً فى حالتهم، فالخير كل الخير فى اليقظة، والشر كل الشر فى النوم والغفلة، فمن أكل بهواه أكل كثيراً فشرب كثيراً فنام كثيراً فندم كثيراً طويلاً وفاته خير كثير، ومن أكل قليلاً من الحرام كان كمن أكل كثيراً من المباح بهواه، لأن الحرام يغطى الإيمان فلا صلاة ولا عبادة ولا إخلاص، ومن أكل من الحلال كثيراً بالأمر كان كمن أكل منه قليلاً فى النشاط فى العبادة والقوة، فالحلال نور فى نور، والحرام ظلمة فى ظلمة لا خير فيه، أكل الحلال بهواه بغير الأمر وأكل الحرام مستجلبان للنوم، فلا خير فيه.



## المقالة الخمسون

### فى علاج دفع البعد عن الله تعالى وبيان كيفية التقرب منه تعالى

قال ﷺ: لا يخلو أمرك من قسمين:

إما أن تكون غائباً عن القرب من الله أو قريباً منه واصلّاً إليه، فإن كنت غائباً عنه فما قعودك وتوانيك عن الحظ الأوفر والنعيم والعز الدائم والكفاية الكبرى والسلامة والغنى والدلال فى الدنيا والأخرى! فقم وأسرع فى الطيران إليه عز وجل بجناحين، أحدهما: ترك اللذات والشهوات الحرام منها والمباح والراحات أجمع.

والآخر احتمال الأذى والمكارة وركوب العزيمة والأشد، والخروج من الخلق والهوى والإرادات والمنى دنيا وأخرى حتى تظفر بالوصول والقرب، فتجد عند ذلك جميع ما تتمنى، وتحصل لك الكرامة العظمى والعزة الكبرى فإن كنت من المقربين الواصلين إليه عز وجل ممن أدركتهم العناية وشملتهم الرعاية وجذبتهم المحبة ونالتهم الرحمة والرافة، فأحسن الأدب ولا تغتر بما أنت فيه، فتقصر في الخدمة، ولا تخلد إلى الرعونة الأصلية من الظلم والجهل والعجل في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الأحزاب ٧٢، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَنُ عَجُولًا﴾ الإسراء ١١، واحفظ قلبك من الالتفات إلى ما تركته من الخلق والهوى والإرادة والتخير وترك الصبر والموافقة والرضا عند نزول البلاء، واستطرح بين يدي الله عز وجل كالكرة بين يدي الفارس يقلبها بصولجانه، والميت بين يدي الغاسل، والطفل الرضيع في حجر أمه وظئره، تعامى عمن سواه عز وجل فلا ترى لغيره وجوداً ولا ضراً ولا نفعاً ولا عطاءً ولا منعاً، إجعل الخليفة والأسباب عند الأذية والبلية كسوطه عز وجل يضربك به، وعند النعمة والعطية كيده يلقمك بها.



## المقالة الحادية والخمسون

### في الزهد

قال عليه السلام: الزاهد يثاب بسبب الأقسام مرتين، يثاب في تركها أولاً، فلا يأخذها بهواه وموافقة النفس، بل يأخذها بمجرد الأمر، فإذا تحققت عداوته لنفسه ومخالفته لهواه عُد من المحققين وأهل الولاية وأدخل في زمرة الأبدال والعارفين أمر حنيئذ بتناولها والتلبس بها، إذ هي قسمة لا بُد له منها لم تخلق لغيره، جف بها القلم وسبق بها العلم، فإذا امتثل الأمر فتناول أو أطلع بالعلم فتلبس بها بجريان القدر والفعل فيه من غيرى أن يكون هو فيه، لا هوى ولا إرادة ولا همة أثيب بذلك ثانياً، هو ممتثل للأمر بذلك أو موافق لفعل الحق عز وجل فيه.

فإن قال قائل: كيف أطلقت القول بالثواب لمن هو في المقام الأخير الذى ذكرته من أنه

أدخل في زمرة الأبدال و العارفين المفعول فيهم، الفانين عن الخلق و الأنفس و الأهوية و الإرادات و الحظوظ و الأمانى و الأعواض على العمال الذين يرون جميع طاعاتهم و عباداتهم فضلاً من الله عز و جل و نعمة و رحمة و توفيقاً و تيسيراً منه عز و جل و يعتقدون أنهم عبيد الله عز و جل ، و العبد لا يستحق على مولاه حقاً، إذ هو برمته مع حركاته و سكناته و أكسابه ملك لمولاه، فكيف يقال في حقه يثاب و هو لا يطلب ثواباً و لا عوضاً على فعله و لا يرى له عملاً، بل يرى نفسه من البطالين و أفلس المفلسين من الأعمال.

فتقول: صدقت، غير أن الله عز و جل يواصله بفضله و يدلله بنعمه و يربيه بلطفه و رأفته و بره و رحمته و كرمه، إذ كف يده عن مصالح نفسه و طلب الحظوظ لها و جلب النفع إليها و دفع الضر عنها، فهو كالطفل الرضيع الذى لا حراك له في مصالح نفسه و هو مدلل بفضل الله عز و جل و رزقه الدار على يدي والديه الوكيلين الكفيلين، فلما سلب عنه مصالح نفسه عطف قلوب الخلق عليه و أوجد رحمة و شفقة له في القلوب حتى كل واحد يرحمه و يتعطف عليه و يبره، فهكذا الكل فان عن سوى الله الذى لا يحركه غيره أمره أو فعله، مواصل بفضل الله عز و جل دنيا و أخرى مدلل فيهما مدفوع عنه الأذى متولى، قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ الأعراف ١٩٦ .



## المقالة الثانية والخمسون

### في سبب ابتلاء طائفة من المؤمنين

قال ﷺ: إنما يبتلى الله طائفة من المؤمنين الأحباب من أهل الولاية ليردهم بالبلاء إلى السؤال فيحب سؤا لهم، فإذا سألوا يجب إجابتهم فيعطى الكرم والجود حقهما لأنها يطالبان لأنه عز و جل عند سؤال المؤمنين من الإجابة، وقد تحصل الإجابة ولا يحصل النقد والنقاد لتعويق القدر لا على وجه عدم الإجابة والحرمان، فليتأدب العبد عند نزول البلاء، وليفتش عن ذنوبه في ترك الأوامر و ارتكاب المناهى ما ظهر منا وما بطن. والمنازعة في القدر إذا تعاقب

عليه، إنما يتلى بذلك مقابلة، فإن انكشف البلاء، وإلا فليتخذ إلى الدعاء والتضرع والاعتذار فيديم بالسؤال لجواز أن يكون ابتلاه ليسأله، ولا يتهمه لتأخير الإجابة لما بيناه، والله أعلم.

\*\*\*

### المقالة الثالثة والخمسون

## في الأمر بطلب الرضا من الله والفناء به تعالى

قال عليه السلام: اطلبوا من الله عز وجل الرضا أو الفناء، لأنه هو الراحة الكبرى واللجنة العالية المنفرة في الدنيا، وهو باب الله الأكبر وعلة محبة الله لعبده المؤمن، فمن أحبه الله لم يعذبه في الدنيا، والآخرة فيها اللقوق بالله عز وجل والوصول إليه، ولا تشتغلوا بطلب الحظوظ وأقسام لم تقسم أو قسمت، فإن كانت لم تقسم فلاشتغال بطلبها حمق ورعونة وجهالة، وهو أشد العقوبات، كما قيل: من أشد العقوبات طلب ما لا يقسم وإن كانت مقسومة فلاشتغال بها شره وحرص وشرك من باب العبودية والمحبة والحقيقة، لأن الاشتغال بغير الله عز وجل شرك، وطالب الحظ ليس بصادق في محبته وولايته فمن احتال مع الله غيره فهو كذاب وطالب العوض على عمله غير مخلص، وإنما المخلص من عبد الله ليعطى الربوبية حقها للمالكية والحقيقة، لأن الحق عز وجل يملكه ويستحق عليه العمل والطاعة له بحركاته وسكناته وسائر أكسابه، والعبد وما في يده ملك لمولاه كيف وقد بينا في غير موضع أن العبادات بأسرها نعمة من الله وفضل منه على عبده إذ وفقه لها وأقدره عليها، فلاشتغال بالشكر لربه خير وأولى من طلبه من الأعواض أو الجزاء عليها، ثم كيف تشتغل بطلب الحظوظ، وقد ترى خلقاً كثيراً كلما كثرت الحظوظ عندهم وتواترت وتتابع اللذات والنعم والأقسام إليهم زاد سخطهم على ربهم وتضجرهم وكفرهم بالنعمة وكثرة همومهم وغمومهم وفقرهم إلى أقسام لم تقسم غير ما عندهم وحقرت وصغرت وقبحت أقسامهم عندهم وعظمت وكبرت وحسنت أقسام غيرهم وانحلت قواهم، وكبرت سنهم وشتت أحوالهم وتعبت أجسادهم وعرقت جباههم وسودت صحائفهم بكثرة آثامهم وارتكاب عظام الذنوب في طلبها وترك أوامر ربهم فلم ينالوها

وخرجوا من الدنيا مفاليس لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، لا شكروا ربهم فيما قسم لهم من أقسامهم فاستعانوا بها على طاعته، وما نالوا ما طلبوا من أقسام غيرهم، بل ضيعوا دنياهم وآخرتهم، فهم أشر الخليقة وأجهلهم وأحمقهم وأخسهم عقولاً وبصيرة، فلو أنهم رضوا بالقضاء وقنعوا بالعطاء وأحسنوا طاعة المولى لأتتهم أقسامهم من الدنيا من غير تعب ولا عناء، ثم نقلوا إلى جوار العلى الأعلى فوجدوا عنده كل مراد ومنى، جعلنا الله وإياكم ممن رضى بالقضاء، وجعل سؤاله ذلك والفناء وحفظ الحال والتوفيق بما يحبه ويرضى.



#### المقالة الرابعة والخمسون

### فى من أراد الوصول إلى الله تعالى وبيان كيفية الوصول إليه تعالى

قال عليه السلام: من أراد الآخرة فعليه بالزهد فى الدنيا، ومن أراد الله فعليه بالزهد فى الآخرة، فيترك دنياه لآخرته وآخرته لربه، فما دام فى قلبه شهوة من شهوات الدنيا ولذة من لذاتها وطلب راحة من راحتها من سائر الأشياء من مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومسكون ومركوب وولاية ورياسة وطبقة فى علم من فنون العلم من الفقه فوق العبادات الخمس، ورواية الحديث وقراءة القرآن بروايته، والنحو واللغة والفصاحة والبلاغة، وزوال الفقر ووجود الغنى وذهاب البلية ومجىء العافية، وفى الجملة انكشاف الضر ومجىء النفع فليس بزاهد حقاً لأن كل واحد من هذه الأشياء فيه لذة النفس وموافقة الهوى وراحة الطبع وحب له، وكل ذلك من الدنيا ومما يجب البقاء فيها ويحصل السكون والطمأنينة إليها، فينبغى أن يجاهد فى إخراج جميع ذلك عن القلب، ويأخذ نفسه بإزالة ذلك وقلعه والرضا بعدم الإفلاس والفقر الدائم، فلا يبقى من ذلك مقدار مص نواة ليخلص زهده فى الدنيا، فإذا تم له ذلك زالت الغموم والأحزان من القلب والكرب عن الحشا، وجاءت الراحة والطيب والأنس بالله كما قال عز وجل: (الزهد فى الدنيا يريح القلب والجسد) فما دام فى قلبه شئ من

ذلك فاهلهموم والخوف والوجل قائم في القلب والخذلان لازم له، والحجاب عن الله عز وجل وعن قربته متكاثف متراكم فلا ينكشف جميع ذلك إلا بزوال حب الدنيا على الكمال وقطع العلائق بأثرها، ثم يزهد في الآخرة، فلا يطلب الدرجات والمنازل العاليات والمحور والولدان والدور والقصور والبساتين والمراكب والخيول والحلى والمآكل والمشارب وغير ذلك مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين، فلا يطلب على عمله جزاء أو أجراً من الله عز وجل البتة دنيا ولا أخرى، فحينئذ يجد الله عز وجل فيؤتيه حسابه تفضلاً منه ورحمة، فيقر به منه ويدنيه ويلطف به ويتعرف إليه بأنواع الطافه وبره كما هو دأبه عز وجل مع رسله وأنبيائه وأوليائه وخواصه وأحبابه أولى العلم به عز وجل، فيكون العبد كل يوم في مزيد أمره مدة حياته، ثم ينتقل إلى دار الآخرة إلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، مما تضيق عنه الأفهام وتعجز عن وصفه العبارات، والله أعلم.



### المقالة الخامسة والخمسون

## في ترك الحظوظ

قال عليه السلام: ترك الحظوظ ثلاث مرات: الأولى يكون العبد ماراً في عشواه متخبطاً فيه متصرفاً بطبعه في جميع أحواله، من غير تعبد لربه ولازم في الشرع يرده ولا حد من حدود ينتهي إليه عن حكمه، فبينما هو على ذلك ينظر الله إليه - يعني يرحمه - فيبعث الله إليه واعظاً من خلقه من عباده الصالحين فينبهه، ويثنيه بواعظ من نفسه، فيتضافر الواعضان على نفسه وطبعه، فتعمل الموعظة عملها، فتبين عندها عيب ما هي فيه من ركوب مطية الطبع والخافة فتميل إلى الشرع في جميع تصرفاتها فيصير العبد مسلماً قائماً مع الشرع فانياً عن الطبع، فيترك حرام الدنيا وشبهاتها ومنن الخلق، فيأخذ مباح الحق عز وجل وحلال الشرع في مأكله ومشربه وملبسه ومنكحه وجميع ما لا بد منه، لتحفظ البنية ويتقوى على طاعة الرب عز وجل، وليستوفي قسمه المقسوم له الذي لا يتجاوزه ولا سبيل إلى الخروج من الدنيا قبل تناوله



والتلبس به واستيفائه فيسير على مطية المباح والحلال في الشرع في جميع أحواله، تنتهي به هذه المطية إلى عتبة الولاية والدخول في زمرة المحققين والخواص أهل العزيمة مريدى الحق، فيأكل بالأمر، فحينئذ يسمع نداء من قبل الحق عز وجل من باطنه: أترك نفسك وتعال، أترك المحظوظ والخلق إن أردت الخالق، واخلع نعليك ودنياك وآخرتك، وتجرد عن الأكوان والموجودات وما سيوجد والأمانى بأسرها، وتعر عن الجميع وافن عن الكل وتطيب بالتوحيد واترك الشرك وصدق الإرادة، ثم وطء البساط بالأدب مطرقاً، لا تنظر يميناً إلى الآخرة ولا شمالاً إلى الدنيا ولا إلى الخلق ولا إلى المحظوظ، فإذا دخل في هذا المقام، وتحقق الوصول جاءت الخلعة من قبل الحق عز وجل، وغشيته أنواع المعارف والعلوم وأنواع الفضل، فيقال له: تلبس بالنعم والفضل ولا تسيء الأدب بالرد وترك التلبس، لأن رد نعم الملك افتئاتاً على الملك واستخفافاً بحضرته وحينئذ يتلبس بالفضل والقسمة بالله من غير أن يكون هو فيه ومن قبل كأن يتلبس بهواه ونفسه فله أربع حالات في تناول المحظوظ والأقسام:

الأولى بالطبع هو الحرام. والثانية بالشرع وهو المباح والحلال. والثالثة بالأمر وهي حالة الولاية وترك الهوى. والرابعة بالفضل وهي حالة زوال الإرادة وحصول البدلية وكونه مراداً قائماً مع القدر الذى هو فعل الحق، وهي حالة العلم والاتصاف بالصلاح، فلا يسمى صالحاً على الحقيقة إلا وصل إلى هذا المقام، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِىَّ اللَّهِ الَّذِى نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ الأعراف ١٩٦، فهو العبد الذى كفت يده عن جلب مصالحه ومنافعه وعن رد مضاره ومفاسده، كالرضيع مع الظئر، والميت الغسيل مع الغاسل، فتتولى يد القدر تربيته من غير أن يكون له اختيار وتدير، فإن عن جميع ذلك لا حالاً ولا مقاماً ولا إرادة، بل القيام مع القدرة، تارة يبسط وتارة يغنى وتارة يفقر، ولا يختار ولا يتمنى زوال ذلك وتغيره، بل الرضى الدائم والموافقة الأبدية، فهو آخر ما تنتهى أحوال الأولياء قدست أسرارهم.



## في فناء العبد عن الخلق والهوى والنفس والإرادة والأمانى

قال عليه السلام: إذا فنى العبد عن الخلق والهوى والنفس والإرادة والأمانى دنيا وأخرى، ولم يرد إلا الله عز وجل وخرج الكل عن قلبه، وصل إلى الحق واصطفاه واجتباها، وأحبه وحببه إلى خلقه، وجعله يحبه ويحب قربه، ويتنعم بفضله ويتقلب في نعمه وفتح عليه أبواب رحمته، ووعدته أن لا يغلقها عنه أبداً، فيختار العبد حينئذ الله، ويدبر بتدبيره ويشاء بمشيئته، ويرضى برضاه يمثّل أمره دون غيره، ولا يرى لغيره عز وجل وجوداً ولا فعلاً، فحينئذ يجوز أن يعده الله بوعده ثم لا يظهر للعبد وفاء بذلك، ولا يغير ما قد توهمه من ذلك، لأن الغيرية قد زالت بزوال الهوى والإرادة فصار في فعل الله عز وجل وإرادته فيصير الوعد حينئذ في حقه مع الله عز وجل كرجل عزم على فعل شئ في نفسه ونواه ثم صرفه إلى غيره كالناسخ والمنسوخ فيما أوحى الله عز وجل إلى نبينا محمد عليه السلام قوله عز وجل: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة ١٠٦، لما كان النبي عليه السلام منزوع الهوى والإرادة سوى المواضع التي ذكرها الله عز وجل في القرآن من الأسر يوم بدر ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ الأنفال ٦٧-٦٨، كذا قالوا، وغيره وهو مراد الحق عز وجل لم يترك على حالة واحدة، بل نقله إلى القدر إليه فصرفه في القدر وقلبه منها، نبهه بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة ١٠٦، يعنى أنك في بحر القدر تقلبك أمواجه تارة كذا وتارة كذا، فمنتهى أمر الولي ابتداء أمر النبي ما بعد الولاية والبدلية إلا النبوة، والله أعلم.



## في عدم المنازعة في القدر والأمر بحفظ الرضا به

قال عليه السلام: الأحوال قبض كلها، لأنه يؤمر الولي بحفظها وكل ما يؤمر بحفظه فهو قبض، والقيام مع القدر بسط كله، لأنه ليس هناك شئ يؤمر بحفظه سوى كونه موجوداً في القدر، فعليه أن لا ينازع في القدر بل يوافق ولا ينازع في جميع ما يجري عليه مما يحلو ويمر. الأحوال معدودة فأمر بحفظ حدوده، والفضل الذي هو القدر غير محدود فيحفظ.

وعلازمة أن العبد دخل في مقام القدر والفعل والبسط، أنه يؤمر بالسؤال في المحظوظ بعد أن أمر بتركها والزهد فيها، لأنه لما خلا باطنه من المحظوظ ولم يبق غير الرب عز وجل بوسط فأمر بالسؤال والتشهي وطلب الأشياء التي هي قسمه، ولا بد من تناولها والتوصل إليه بسؤاله، ليتحقق كرامته عند الله عز وجل ومنزلته، وامتنان الحق عز وجل عليه بإجابته إلى ذلك، والإطلاق بالسؤال في عطاء المحظوظ من أكثر علامات البسط بعد القبض، والإخراج من الأحوال والمقامات والتكليف في حفظ الحدود.

فإن قيل: هذا يدل على زوال التكلف والقول بالزندقة والخروج من الإسلام، ورد قوله عز وجل: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الحجر ٩٩، قيل لا يدل على ذلك ولا يؤدي إليه، بل الله أكرم ووليه أعز عليه من أن يدخله في مقام النقص والقبيح في شرعه ودينه، بل يعصمه من جميع ما ذكر ويصرفه عنه ويحفظه وينبئه ويسدده لحفظ الحدود، فتحصل العصمة وتتحفظ الحدود من تكليف منه ومشقة، وهو عن ذلك في غيبة في القرب، قال عز وجل: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف ٢٤، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ الحجر ٤٢، وقال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الصفات ٤٠، يا مسكين هو محمول الرب وهو مراده، وهو يريه في حجر قربه ولطفه، أنى يصل الشيطان إليه وتتطرق القبائح والمكاره في الشرع نحوه؟ أبعدت النجعة وأعظمت الفرية وقلت قولاً فظيعاً، تباً لهذه الهمم الخسيسة الدنية والعقول الناقصة البعيدة والآراء الفاسدة المتخلخلة، أعاذنا الله والإخوان من الضلالة

المختلفة بقدرته الشاملة ورحمته الواسعة، وسترنا بأستاره التامة المانعة الحامية، وربانا بنعمه السابغة وفضائله الدائمة بمنه وكرمه تعالى شأنه.



### المقالة الثامنة والخمسون

## في صرف النظر عن كل الجهات وطلب جهة فضل الله تعالى

قال ﷺ: تقام عن الجهات كلها ولا تبصص على شئ منها، فما دمت تنظر إلى واحدة منها لا يفتح لك جهة فضل الله عز وجل وقربه، فسد الجهات جميعاً بتوحيده وإمحاء نفسك ثم فنائك ومحوك وعلمك، فحينئذ يفتح عين قلبك جهة فضل الله العظيم، فتراها بعيني رأسك إذا ذاك شعاع نور قلبك وإيمانك ويقينك فيظهر عند ذلك النور من باطنك على ظاهر ككنور الشمعة التي في البيت المظلم في الليلة الظلماء، يظهر من كوى البيت ومنافذه فيشرق ظاهر البيت بنور باطنه، فتسكن النفس والجوارح إلى وعد الله وعطائه عن عطاء غيره ووعد غيره عز وجل. وارحم نفسك ولا تظلمها ولا تلقها في ظلمات جهلك ورعونتك، فتتنظر إلى الجهات وإلى الخلق والحول والقوة والكسب والأسباب فتوكل إليها، فتسد عنك الجهات ولم تفتح لك جهة فضل الله عز وجل، عقوبة ومقابلة لشركك بالنظر إلى غيره عز وجل، فإذا وجدته ونظرت إلى فضله ورجوته دون غيره وتعاميت عما سواه، قربك وأدناك، ورحمك ورباك وأطعمك وسقاك، وداواك وعفاك وأعطاك وأغناك، فلا ترى بعد ذلك لا فقرك ولا غناك.



## المقالة التاسعة والخمسون

### في الرضا على البلية والشكر على النعمة

قال عليه السلام: لا تخلو حالتك إما أن تكون بلية أو نعمة. فإن كانت بلية فتطالب فيها بالصبر، وهو الأدنى، والصبر وهو أعلى منه، ثم الرضا والموافقة، ثم الفناء وهو للأبدال، وإن كانت نعمة فتطالب فيها بالشكر عليها، والشكر باللسان والقلب والجوارح.

أما باللسان فالاعتراف بالنعمة أنها من الله عز وجل: وترك الإضافة إلى الخلق لا إلى نفسك وحولك وقوتك وكسبك ولا إلى غيرك من الذين جرت على أديهم، لأنك وإياهم أسباب وآلات وأداة لها، وإن قاسمها ومجريها وموجدوها والشاغل فيها والمسبب لها هو الله عز وجل والقاسم هو الله، والمجرى هو والموجد هو، فهو أحق بالشكر من غيره.

لا نظر إلى الغلام الحمال للهدية إنما النظر إلى الأستاذ المنفذ المنعم بها، قال الله تعالى في حق من عدم هذا المنظر: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ الروم ٧، فمن نظر إلى الظاهر والسبب ولم يجاوز علمه ومعرفته، فهو الجاهل الناقص قاصر العقل، إنما سمى العاقل عاقلاً لنظره في العواقب.

وأما الشكر بالقلب فبالاعتقاد الدائم، والعقد الوثيق الشديد المتبرم، إن جميع ما بك من النعم والمنافع واللذات في الظاهر والباطن في حركاتك وسكناتك من الله عز وجل لا من غيره، ويكون شكرك بلسانك معبراً عما في قلبك، وقد قال عز وجل: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ النحل ٥٣، وقال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ لقمان ٢٠، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ النحل ١٨، فمع هذا لا يبقى لمؤمن منعم سوى الله تعالى.

وأما الشكر بالجوارح فبأن تحركها وتستعملها في طاعة الله عز وجل دون غيره من الخلق، فلا تجيب أحداً من الخلق، فيما فيه إعراض عن الله تعالى، وهذا يعم النفس والهوى والإرادة والأمانى وسائر الخليقة، كجعل طاعة الله أصلاً ومتبوعاً وإماماً وما سواها فرعاً وتابعاً

ومأموماً، فإن فعلت غير ذلك كنت جائراً ظالماً حاكماً بغير حكم الله عز وجل الموضوع لعباده المؤمنين، وسالكاً غير سبيل الصالحين. قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ لَّمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة ٤٤، وفي آية أخرى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المائدة ٤٥، وفي أخرى: ﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة ٤٧، فيكون انهاؤك إلى التي وقودها الناس والحجارة، وأنت لا تصبر على حمى ساعة في الدنيا وأقل بسطة وشرارة من النار فيها، فكيف صبرك على الخلود في الهاوية مع أهلها النجا النجا، الوحا الوحا، الله الله، احفظ الحالتين وشروطهما، فإنك لا تخلو في جميع عمرك من أحديهما إما البلية وإما النعمة فأعط كل حالة حظها وحقها من الصبر والشكر على ما بينت لك، فلا تشكون في حالة البلية إلى أحد من خلق الله، ولا تظهرن الضجر لأحد ولا تتهمن ربك في باطنك، ولا تشكن في حكمته واختر الأصلح لك في دنياك وآخرتك، فلا تذهبن بهمتك إلى أحد من خلقه في معافاتك فذاك إشراك منك به عز وجل، لا يملك معه عز وجل في ملكه أحد شيئاً لا ضار ولا نافع ولا دافع، ولا جالب ولا مسقم ولا مبلى، ولا معاف ولا مبرئ غيره عز وجل، فلا تشتغل بالخلق لا في الظاهر ولا في الباطن، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، بل إلزم الصبر والرضا والموافقة والفناء في فعله عز وجل، فإن حرمت ذلك كله فعليك بالاستغاثة إليه عز وجل، والتضرع من شؤم النفس، ونزاهة الحق عز وجل والاعتراف له بالتوحيد بالنعيم، والتبري من الشرك، وطلب الصبر والرضا والموافقة، إلى حين يبلغ الكتاب أجله، فتزول البلية وتنكشف الكربة، وتأتى النعمة والسعة والفرحة والسرور، كما كان في حق نبي الله أيوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأشرف السلام، كما يذهب سواد الليل ويأتى بياض النهار، ويذهب برد الشتاء ويأتى نسيم الصيف وطيبه لأنه لكل شئ ضدّاً وخلافاً وغاية وبدءاً ومنتهاً، فالصبر مفتاحه وابتدأه وانتهأه وجماله كما جاء في الخبر (الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد) وفي لفظ (الصبر) الإيمان كله وقد يكون الشكر هو التلبس بالنعيم وهى أقسامه المقسومة لك، فشكر التلبس بها في حال فنائك، وزوال الهوى والحمية والحفظ، وهذه حالة الأبدال وهى المنتهى، اعتبر ما ذكرت لك ترشد إن شاء الله تعالى.



## في البداية والنهاية

قال ﷺ: البداية هي الخروج من المعهود إلى المشروع ثم المقدور ثم الرجوع للمعهود. ويشترط حفظ الحدود، فتخرج من معهودك من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمسكون والطبع والعادة إلى أمر الشرع ونهيه، فتتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ الحشر، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ آل عمران ٣١، فتفنى عن هواك ونفسك ورعونتها في ظاهره وباطنك، فلا يكون في باطنك غير توحيدك له وفي ظاهره غير طاعة الله وعبادته مما أمر ونهى، فيكون هذا دأبك وشعارك وشارك في حركتك وسكونك، في ليلك ونهارك وسفره وحضرته، وشدتك ورخائك وصحتك وسقمك، وأحوالك كلها، ثم تحمل إلى وادى القدر فيتصرف فيك القدر، فتفنى عن جدك واجتهادك وحولك وقوتك، فتساق إليك الأقسام التي جف بها القلم وسبق بها العلم، فتلبس بها وتعطى منها الحفظ والسلامة فتحفظ فيها الحدود ويحصل فيها الموافقة لفعل المولى، ولا تتخرق قاعدة الشرع على الزندقة وإباحة المحرم قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف ٢٤، فتصحب الحفظ والحماية وإنما هي أقساماً معدة لك، فحبسها عنك في حال سيرك وطريقك وسلوكك فيافي الطبع ومفاوز الهوى المعهود، لأنها أثقال أحمال ما زيمت عنك، لئلا يثقلك فتضعفك إلى حين الوصول إلى عتبة الفناء، وهو الوصول إلى قرب الحق عز وجل والمعرفة به، والاختصاص بالأسرار والعلوم الدينية، والدخول في بحار الأنوار، حيث لا تضر ظلمة الطبائع والأنوار، فالطبع باق إلى أن تفارق الروح الجسد لاستيفاء الأقسام، إذ لو زال الطبع من آدمي لالتحق بالملائكة وبطلت الحكمة، فبقى الطبع يستوفي الأقسام والحظوظ، فيكون ذلك وظائفاً لا أصلياً كما قال النبي: (حب إلى من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة)، فلما فنى النبي ﷺ عن الدنيا وما فيها ردت إليه أقسامه المحبوسة عنه في حال سيره إلى ربه عز وجل، فاستوفاهها موافقة لربه تعالى والرضا بفعله ممتثلاً



لأمره، قدست أسائه وعمت رحمته، شمل فضله لأوليائه وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، فهكذا الولي في هذا الباب ترد إليه أقسامه وحظوظه مع حفظ الحدود، فهو الرجوع من النهاية إلى البداية، والله أعلم.



### المقالة الحادية والستون

## في التوقف عند كل شيء حتى يتبين له إباحة فعله

قال عليه السلام: كل مؤمن مكلف بالتوقف والتفتيش عند حضور الأقسام عن تناول والأخذ، حتى يشهد له الحكم بالإجابة، والعلم بالقسمة، والمؤمن فتاش والمنافق لقاف، وقال: (المؤمن وقاف) وقال: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)، فالمؤمن يقف عند كل قسم من مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح وسائر الأشياء التي تفتح له فلا يأخذ حتى يحكم له بجواز الأخذ والتناول كحكمه إذا كان في حالة التقوى، أو حتى يحكم له بذلك الأمر إذا كان في حالة الولاية، أو حتى يحكم العلم في حالة البدلية والغوثية، والفعل الذي هو القدر المحض وهي حالة الفناء، ثم تأتية حالة أخرى تتناول كل ما يأتيه ويفتح له ما لم يعترض عليه الحكم والأمر والعلم، فإذا اعترض أحد هذه الأشياء امتنع من تناول، فهي ضد الأولى.

ففي الأولى الغالب عليه التوقف والتثبت. وفي الثانية الغالب عليه تناول والأخذ والتلبس بالفتوح. ثم تأتى الحالة الثالثة.

فالتناول المحض والتلبس بما يفتح من النعم من غير اعتراض أحد الأشياء الثلاثة وهي حقيقة الفناء، فيكون المؤمن فيها محفوظاً من الآفات وخرق حدود الشرع مصاناً مصروفاً عنه الأسواء، كما قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف ٢٤، فيصير العبد مع الحفظ عن خرق الحدود كالمقرض إليه المأذون له والمطلق له في الإباحات الميسر له الخير، ما يأتيه قسمه المصفى له من الآفات والتبعات في الدنيا والآخرة،

والموافق لإرادة الحق ورضاه وفعله ولا حالة فوقها وهى الغاية، وهى السادة الأولياء الكبار  
الخلص أصحاب الأسرار، الذين أشرفوا على عتبة أحوال الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.



## المقالة الثانية والستون

### فى المحبة والمحجوب وما يجب فى حقهما

قال ﷺ: ما أكثر ما يقول المؤمن قرب فلان وبعدت، وأعطى فلان وحرمت، وأغنى فلان  
وأفقرت ووفى فلان وأسقمت، وعظم فلان وحقرت، وحمد فلان وذممت، وصدق فلان وكذبت،  
أما يعلم أنه الواحد، وأن الواحد يجب الوجدانية فى المحبة، ويجب الواحد فى محبته.

إذا قربك بطريق غيره نقصت محبتك له عز وجل و شعبت فربما دخلك الميل إلى من  
ظهرت المواصله والنعمه على يديه، فتتنقص محبة الله فى قلبك، وهو عز وجل غيور لا يجب  
شريكه فكف أيدى الغير عنك بالمواصله ولسانه عن حمدك وثنائك ورجليه عن السعي إليك  
كيلا تشتغل به عنه، أما سمعت قول النبى: (جبلت القلوب على حب من أحسن إليها)، فهو  
عز وجل يكف الخلق عن الإحسان إليك من كل وجه وسبب حتى توحده وتجبه، وتصير له  
من كل وجه بظاهرك وباطنك فى حركاتك وسكناتك، فلا ترى الخير إلا منه ولا الشر إلا منه  
عز وجل ، وتفنى عن الخلق وعن النفس، وعن الهوى والإرادة والمنى، وعن جميع ما سوى  
المولى، ثم يطلق الأيدى إليك بالبسط والبذل والعطاء، والألسن بالحمد والثناء فيدلك ابدأ فى  
الدنيا ثم فى العقبى، فلا تسمى الأدب، انظر إلى من ينظر إليك، واقبل على من أقبل إليك،  
وأحب من يحبك واستجب من يدعوك وأعط يدك من يثبتك من سقطك ويخرجك من ظلمات  
جهلك، وينجيك من هلكك ويغسلك من نجاستك، وينظفك من أوساخك، ويخلصك من  
جيفك وتنتك، ومن أوهامك الرديه، ومن نفسك الأماره بالسوء وأقرانك الضلال المضلين  
شياطينك، وأخلائك الجهال قطاع طريق الحق الحائلين بينك وبين كل نفيس وثمان وعزيز.

إلى متى المعاد، إلى متى الحق، إلى متى الهوى، إلى متى الرعونة، إلى متى الدنيا، إلى متى الآخرة، إلى متى سوى المولى؟ أين أنت من خالقك والأشياء، والمكون الأول الآخر الظاهر الباطن، والمرجع والمصدر إليه، وله القلوب وطمأنينة الأرواح ومحط الأثقال والعطاء والامتنان، عز شأنه.

\*\*\*

### المقالة الثالثة والستون

#### في نوع من المعرفة

قال عليه السلام: رأيت في المنام كأنى أقول يا مُشرك بربه في باطنه بنفسه وفي ظاهره بخلقه وفي عمله بإرادته، فقال رجل إلى جانبى: ما هذا الكلام؟ فقلت: هذا نوع من أنواع المعرفة.

\*\*\*

### المقالة الرابعة والستون

#### في الموت الذى لا حياة فيه والحياة التى لا موت فيها

قال عليه السلام: ضاق أبى الأمر يوماً فتحرك في النفس، فقيل لى: ماذا تريد؟ فقلت: أريد موتاً لا حياة فيه وحياة لا موت فيها؟ فقيل لى: ما الموت الذى لا حياة فيه وما الحياة التى لا موت فيها؟ قلت: الموت الذى لا حياة فيه موتى عن جنسى من الخلق فلا أراهم فى الضر والنفع، وموتى عن نفسى وهوائى وإرادتى ومنائى فى الدنيا والآخرة فلا أحس فى جميع ذلك ولا أجد.

وأما الحياة التى لا موت فيها: فحياتى بفعل ربي عز وجل بلا وجودى فيه، والموت فى ذلك وجودى معه عز وجل، فكانت هذه الإرادة أنفس إرادتها منذ عقلت.

\*\*\*

## في النهي عن التسخط على الله في تأخير إجابة الدعاء

قال عليه السلام: ما هذا التسخط على ربك عز وجل من تأخير إجابة الدعاء؟ تقول حرم على السؤال للخلق وأوجب على السؤال وأنا أدعوه وهو لا يجيبني فيقال لك أحر أنت أم عبد فإن قلت أنا حر فأنت كافر وإن قلت أنا عبد لله، فيقال لك أمتهم أنت لوليك في تأخير إجابة دعائك وشاك في حكمته ورحمته بك وبجميع خلقه وعلمه بأحوالهم أو غير متهم له عز وجل؟ فإن كنت غير متهم له ومقر بحكمته وإرادته ومصلحته لك وتأخير ذلك فعليك بالشكر له عز وجل، لأنه اختار لك الأصلح والنعمة ودفع الفساد، وإن كنت متهماً له في ذلك فأنت كافر بتهمتك له، لأنك بذلك نسبت له الظلم وهو ليس بظلام للعبيد، لا يقبل الظلم ويستحيل عليه أن يظلم إذ هو مالكك ومالك كل شيء فلا يطلق عليه اسم الظالم، وإنما الظالم من يتصرف في ملك غيره بغير إذنه فانسد عليك سبيل التسخط عليه في فعله فيك بما يخالف طبعك وشهوة نفسك وإن كان في الظاهر مفسدة لك.

فعليك بالشكر والصبر والموافقة، وترك السخط والتهمة والقيام مع رعونة النفس وهواها الذي يضل عن سبيل الله.

وعليك بدوام الدعاء وصدق الالتجاء، وحسن الظن بربك عز وجل، وانتظار الفرج منه، والتصديق بوعده، والحياء منه، والموافقة لأمره، وحفظ توحيده والمصارعة إلى أداء أوامره، والتماوت عن نزول قدره بك وبفعله فيك، وإن كان لا بد أن تتهم وتسيئ الظن بنفسك الأمانة بالسوء العاصية لربها عز وجل أولى بهما، ونسبتك الظلم إليها أخرى من مولاك. فاحذر موافقتها وموالاتها، والرضى بفعلها وكلامها في الأحوال كلها، لأنها عدوة الله وعدوتك، وموالية لعدو الله وعدوك الشيطان الرجيم، هي خليلته وجاسوسته ومصافيته، الله الله ثم الله، الحذر الحذر النجا النجا، أتهمها وأنسب الظلم إليها وقرأ عليها قوله عز وجل: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ النساء ١٤٧، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ

أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾، وغيرها من الآيات والأخبار.

كن مخلصاً لله على نفسك مجادلاً لها عنه عز وجل، ومحارباً وسيافاً وصاحب جنده وعسكره، فإنها أعدى عدو لله عز وجل، قال الله تعالى: (يا داود أهجر هواك فإنه لا منازع ينازعني في ملكي غير الهوى).

\*\*\*

### المقالة السادسة والستون

## في الأمر بالدعاء والنهي عن تركه

قال ﷺ: لا تقل لا أدعو الله، فإن كان ما أسأله مقسوماً فسيأتني إن سألته أو لم أسأله، وإن كان غير مقسوم فلا يعطيني بسؤال، بل أسأله عز وجل جميع ما تريد وتحتاج إليه من خير الدنيا والآخرة ما لم يكن فيه محرم ومفسدة لأن الله تعالى أمر بالسؤال له وحث عليه. قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ غافر ٦٠، وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ النساء ٣٢، قال النبي ﷺ: (اسألوا الله و أنتم موقنون بالإجابة) وقال ﷺ: (اسألوا الله ببطون أكفكم)، وغير ذلك من الأخبار، ولا تقل إنني أسأله فلا يعطيني فإذا لا أسأله، بل داوم على دعائه، فإن كان ذلك مقسوماً ساقه إليك بعد أن تسأله، فيزيد ذلك إيماناً و يقيناً وتوحيداً وترك سؤال الخلق والرجوع إليه في جميع أحوالك وإنزال حوائجك به عز وجل، وإن لم يكن مقسوماً لك أعطاك الغناء عنه والرضا عنه عز وجل بالقصص. فإن كان فقراً أو مرضاً أرضاك بهما وإن كان ديناً قلب الدائن من سوء المطالبة إلى الرفق والتأخير والتسهيل إلى حين ميسرتك أو إسقاطه عنك أو نقصه، فإن لم يسقط ولم يترك منه في الدنيا أعطاك عز وجل ثواباً جزيلاً ما لم يعطك بسؤالك في الدنيا، لأنه كريم غني رحيم، فلا يخيب سائله في الدنيا والآخرة فلا بد من فائدة، ونائلة إما عاجلاً وإما آجلاً فقد جاء في الحديث: (المؤمن يرى في صحيفته يوم القيامة حسنات لم يعملها ولم يدر بها فيقال له أتعرفها؟ فيقول ما أعرفها من أين لي هذه؟ فيقال له إنها بدل مسألتك التي سألتها في دار

الدنيا)، وذلك أنه بسؤال الله عز وجل يكون ذاكرًا لله وموحدًا وواضع الشيء في موضعه، ومعطي الحق أهله، ومتبرئاً من حوله وقوته، وتاركاً للتكبر والتعظيم والأنفة، وجميع ذلك أعمال صالحة ثوابها عند الله عز وجل.



## المقالة السابعة والستون

### في جهاد النفس وتفصيل كيفيته

قال ﷺ: كلما جاهدت نفسك وغلبتها وقتلتها بسيف المخالفة أحيها الله، ونازعتك وطلبت منك الشهوات والذات الجناح منها والمباح، لتعود إلى المجاهدة ليكتب لك ثواباً دائماً، وهو معنى قول النبي ﷺ: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)، أراد مجاهدة النفس لدوامها واستمرارها على الشهوات والذات، وإنهما كها في المعاصي، وهو معنى قوله عز وجل: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر ٩٩]، أمر الله عز وجل لنبيه ﷺ بالعبادة وهي مخالفة النفس، لأن العبادة كلها تأبأها النفس وتريد ضدها إلى أن يأتيه اليقين يعنى الموت.

فإن قيل: كيف تأبى نفس رسول الله ﷺ العبادة وهو عليه والصلاة والسلام لا هوى له ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم ٣-٤]، فيقال إنه عز وجل خاطب نبيه ﷺ ليتقرر به الشرع فيكون عاماً بين أمته إلى أن تقوم الساعة. ثم إن الله عز وجل أعطى نبيه ﷺ القوة على النفس والهوى، كيلا يضره ويحوجه إلى المجاهدة، بخلاف أمته، فإذا دام المؤمن على هذه المجاهدة إلى أن يأتيه الموت ويلحق بربه عز وجل بسيف مسلول ملطخ بدم النفس والهوى أعطاه ما ضمن له من الجنة، لقوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات ٤٠-٤١]، فإذا أدخله الجنة وجعلها داره ومقره ومصيره، أمن من التحويل عنها والانتقال إلى غيرها والعودة إلى دار الدنيا جدد له كل يوم وكل ساعة من أنواع النعيم وتغير عليه أنواع الحال والحلى إلى ما لا نهاية ولا غاية ولا نفاد، كما جدد في الدنيا كل يوم وكل ساعة ولحظة مجاهدة النفس والهوى.

وأما الكافر والمنافق والعاصي لما تركوا مجاهدة النفس والهوى في الدنيا وتابعوها، ووافقوا الشيطان تملحوا في أنواع المعاصي من الكفر والشرك وما دونها حتى أتاهم الموت من غير الإسلام والتوبة، أدخلهم الله النار التي أعدت للكافرين في قوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٣١﴾ آل عمران، فإذا أدخلهم فيها وجعلها مقرهم وصيرهم، فأحرق جلودهم ولحومهم جدد لهم عز وجل جلوداً ولحوماً كما قال عز وجل: ﴿كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ النساء ٥٦، يفعل عز وجل بهم ذلك كما وافقوا أنفسهم وأهواءهم في الدنيا في معاصيه عز وجل، فأهل النار تجدد لهم كل وقت جلود ولحوم لإيصال العذاب والآلام إليهم. وسبب ذلك مجاهدة النفس وعدم موافقتها في دار الدنيا وهذا معنى قول النبي ﷺ: (الدنيا مزرعة الآخرة).

\*\*\*

#### المقالة الثامنة والستون

### في قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾

قال ﷺ: إذا أجاب الله عبداً ما سأل وأعطاه ما طلبه لم تنخرم إرادته ولا ما جف به القلم وسبق به العلم، لكنه يوافق سؤاله مراد ربه عز وجل في وقته، فتحصل الإجابة وقضاء الحاجة في الوقت المقدر الذي قدره له في السابقة لبلوغ القدر وقته كما قال أهل العلم قوله عز وجل: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ الرحمن ٢٩، أى يسوق المقادير إلى المواقيت، يعطى الله أحداً شيئاً في الدنيا بمجرد دعائه، وكذلك لا يصرف عنه شيئاً بدعائه المجرد، والذي ورد في الحديث (ولا يرد القضاء إلا الدعاء) قيل إن المراد به لا يرد القضاء إلا الدعاء الذى قضى أن يرد لقضائه، وكذلك لا يدخل أحد الجنة في الآخرة بعمله، بل برحمة الله عز وجل، لكنه يعطى العباد في الجنة الدرجات على قدر أعمالهم.

وقد ورد في حديث عائشة رضى الله عنها أنها سألت النبي ﷺ (هل يدخل أحد الجنة بعمله؟ فقال: لا برحمة الله، فقالت: ولا أنت؟ فقال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته، ووضع



يده على هامته)، وذلك لأن الله عز وجل لا يجب عليه لأحد حق ولا يلزمه الوفاء بالعهد، بل يفعل ما يريد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء، ويرحم من يشاء، فعال لما يريد ولا يسأل عما يفعل وهم يسئلون، يرزق من يشاء بغير حساب بفضل رحمته ومنته، ويمنع من شاء بعدله، وكيف لا يكون كذلك والخلق من لدن العرش إلى الثرى التى هى الأرض السابعة السفلى ملكه وصنعه، لا مالك لهم غيره ولا صانع لهم غيره، قال عز وجل: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ فاطر<sup>٣</sup>، وقال تعالى: ﴿أَعْلَمُ مَعَهُ اللَّهُ﴾ النمل<sup>٦٠</sup>، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ مريم<sup>٦٥</sup>، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ آل عمران<sup>٢٦-٢٧</sup>.



## المقالة التاسعة والستون

# في الأمر بطلب المغفرة والعصمة والتوفيق والرضا والصبر من الله تعالى

قال ﷺ: لا تطلبن من الله شيئاً سوى المغفرة للذنوب السابقة والعصمة منها في الأيام الآتية اللاحقة، والتوفيق لحسن الطاعة، وامتنال الأمر والرضا بمر القضاء، والصبر على شدائد البلاء، والشكر على جزيل النعماء والعطاء، ثم الوفاة بخاتمة الخير، واللحوق بالأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ولا تطلب منه الدنيا ولا كشف الفقر والبلاء إلى الغناء والعافية، بل الرضا بما قسم ودبر، واسأله الحفظ الدائم على ما أقامك فيه وأهلك وابتلاك، إلى أن ينقلك منه إلى غيره وضده، لأنك لا تعلم الخير في أيهما، في الفقر أو في الغناء، في البلاء أو في العافية، طوى عنك علم الأشياء وتفرد هو عز وجل بمصالحها ومفاسدها.

فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لا أبالي على أى حال أصبح، على ما أكره أو على ما أحب، لأنني لا أدري الخير في أيهما. قال ذلك لحسن رضاه بتدبير الله عز وجل، والطمأنينة على اختياره وقضائه. قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة ٢١٦ .

كن على هذا الحال إلى أن يزول هواك وتنكسر نفسك فتكون ذليلة مغلوبة تابعة ثم تزول إرادتك وأمانيك، وتخرج الأكوان من قلبك ولا يبقى في قلبك شئ سوى الله تعالى، فيمتلئ قلبك بحب الله تعالى، وتصديق إرادتك في طلبه عز وجل فيرد إليك الإرادة بأمره بطلب حظ من الحظوظ دنيوية وأخروية، فحينئذ تسأله عز وجل بذلك وتطلبه ممثلاً لأمره، إن أعطاك شكرته وتلبست به، وإن منعك لم تتسخط عليه ولم تتغير عليه في باطنك ولا تتهمه في ذلك ببخل، لأنك لم تكن طلبته بهواك وإرادتك، لأنك فارغ القلب عن ذلك غير مرید له، بل ممثلاً لأمره بالسؤال والسلام.



### المقالة السبعون

## في الشكر والاعتراف بالتقصير

قال ﷺ: كيف يحسن منك العجب في أعمالك ورؤية نفسك فيها وطلب الأعواض عليها، وجميع ذلك بتوفيق الله تعالى وعونه وقوته وإرادته وفضله، وإن كان ترك معصيته فبعصمته وحفظه وحميته.

أين أنت من الشكر على ذلك والاعتراف بهذه النعم التي أولاكها، ما هذه الرعونة والجهل، تعجب بشجاعة غيرك وسخائه وبذل ماله إذا لم تكن قاتلاً بعودك إلا بعد معاونة شجاع ضرب في عدوك ثم تمنيت قتله، لولاه كنت مصروعاً مكانه وبدله، ولا باذلاً لبعض مالك إلا بعد ضمان صادق كريم أمين ضمن لك عوضه وخلفه، لولا قوله وطمعك فيما وعدك

وضمن لك ما بذلت حبة منه، كيف تعجبك بمجرد فعلك.

أحسن حالك الشكر والثناء على المعين والحمد لله الدائم وإضافة ذلك إليه في الأحوال كلها إلا الشر والمعاصي واللوم، فإنك تضيفها إلى نفسك وتنسبها إلى الظلم وسوء الأدب وتتهمها به، فهي أحق بذلك لأنها مأوى لكل شر وأمانة بكل سوء وداهية وإن كان هو عز وجل خالقك وخالق أفعالك مع كسبك، أنت الكاسب وهو الخالق كما قال بعض العلماء بالله عز وجل: تجئ ولا بد منك، وقوله ﷺ: (اعملوا وقاربوا وسددوا فكل ميسر لما خلق له).

\* \* \*

### المقالة الحادية السبعون

## في المريد والمراد

قال ﷺ: لا يخلو إما أن تكون مريداً أو مراداً.

فإن كنت مريداً فأنت محمل وحمال يحمل كل شديد وثقيل، لأنك طالب والطالب مشقوق عليه حتى يصل إلى مطلوبه ويظفر بمحبوبه ويدرك مرامه، ولا ينبغي لك أن تنفر من بلاء ينزل بك في النفس والمال والأهل والولد، إلى أن يحط عنك الأعمال، ويزال عنك الأثقال، ويرفع عنك الآلام ويزال عنك الأذى والإذلال، فتصان عن جميع الرذائل والأدران والأوساخ والمهانات والافتقار إلى الخليفة والبريات، فتدخل في زمرة المحبوبين المدللين المرادين.

وإن كنت مراداً فلا تتهمن الحق عز وجل في إنزال البلية بك أيضاً، ولا تشكن في منزلتك وقدرك عنده عز وجل، لأنه قد يبتليك ليبلغك مبلغ الرجل، ويرفع منزلتك إلى منازل الأولياء.

أتحب ما يحط منزلتك عن منازلهم ودرجاتك عن درجاتهم وأن تكون خلعتك وأنوارك ونعيمك دون ما لهم، فإن رضيت أنت بالدون فالحق عز وجل لا يرضى لك بذلك. قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة ٢١٦، يختار لك الأعلى والأسنى والأرفع والأصلح وأنت تأبى.

فإن قلت: كيف يصلح ابتلاء المراد مع هذا النعيم والبيان مع أن الابتلاء إنما هو للمحب، والمدلل إنما هو المحبوب.

يقال لك ذكرنا الأغلب أولاً وسمرنا بالنادر الممكن ثانياً.

لا خلاف أن النبي ﷺ كان سيد المحبوبين أشد الناس بلاء، وقد قال ﷺ: (لقد خفت في الله ما لا يخافه أحد، ولقد أوديت في الله لم يؤذه أحد، ولقد أتى على ثلاثون يوماً وليلة وما لنا طعام إلا شىء يواريه إبط بلال) وقد قال ﷺ: (إنا معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل) وقد قال ﷺ: (أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خوفاً) فكيف يبتلى المحبوب ويخوف المدلل المراد ولم يكن ذلك إلا بما أشرنا إليه من بلوغ المنازل العالية في الجنة لأن المنازل في الجنة لا تشيد ولا ترفع بالأعمال في الدنيا.

الدنيا مزرعة الآخرة، وأعمال الأنبياء والأولياء بعد أداء الأوامر وانتهاء النواهي والصبر والرضا والموافقة في حالة البلاء يكشف عنهم البلاء ويواصلون بالنعيم والفضل والدلال واللقاء أبد الآباد، والله أعلم.



## المقالة الثانية والسبعون

### فمن إذا دخل الأسواق ومال إلى ما فيها ومن إذا دخلها وصبر

قال عليه السلام: الذين يدخلون الأسواق من أهل الدين والنسك في خروجهم إلى أداء ما أمر الله تعالى من صلاة الجمعة والجماعة وقضاء حوائج تسنح لهم على ضرب:

منهم من إذا دخل السوق ورأى فيه من أنواع الشهوات واللذات تقيدها وعلقت بقلبه فتن، وكان ذلك سبب هلاكه وتركه دينه ونسكه ورجوعه إلى موافقة طبعه وإتباع هواه إلا أن يتداركه عز وجل برحمته وعصمته وإصابه إياه عنها فتسلم.

ومنهم من إذا رأى ذلك كاد أن يهلك بها رجع إلى عقله ودينه وتصبر وتجرع مرارة تركها، فهو كالمجاهد ينصره الله تعالى على نفسه وطبعه وهواه، ويكتب له الثواب الجزيل في الآخرة. كما جاء في بعض الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال: (يكتب للمؤمنين بترك شهوة عند العجز عنها أو عند المقدرة سبعون حسنة) أو كما قال.

ومنهم من يتناولها ويتلبس بها ويحصلها بفضل نعمة الله عز وجل التي عنده من سعة الدنيا والمال، ويشكر الله عز وجل عليها.

ومنهم من لا يراها ولا يشعر بها، فهو أعمى عما سوى الله عز وجل، فلا يرى غيره، وأصم عما سواه فلا يسمع من غيره، عنده شغل عن النظر إلى غير محبوبه واشتهائه، فهو في معزل عما العالم فيه فإذا رايتَه وقد دخل السوق فسألتَه عما رأى في السوق يقول ما رأيت شيئاً. نعم قد رأى الأشياء لكن قد رآها ببصر رأسه لا ببصر قلبه، ونظرة فجاءت لا نظرة شهوة، نظر صورة لا نظر معنى، نظر الظاهر لا نظر الباطن، فبظاهره ينظر إلى ما في السوق وبقلمه ينظر إلى ربه عز وجل، إلى جلاله تارة وإلى جماله تارة أخرى.

ومنهم من إذا دخل السوق امتلأ قلبه بالله عز وجل رحمة لهم، فتشغله الرحمة لهم عن النظر إلى ما لهم وبين أيديهم فهو في حين دخوله إلى حين خروجه في الدعاء والاستغفار والشفاعة

لأهله والشفقة والرحمة عليهم ولهم، وعينه مغرورقة ولسانه في ثناء وحمد لله عز وجل بما أولى الكافة من نعمه وفضله فهذا يسمى شحنة البلاد والعباد، وإن شئت سميته عارفاً وبدلاً وزاهداً وعالمًا غيباً وبدلاً محبوباً مراداً ونائباً في الأرض على عبادته، وسفيراً وجهبذاً ونفاذاً وهادياً ومهدياً ودالاً ومرشداً فهذا هو الكبريت الأحمر وبيضة العقق، رضوان الله عليه وعلى كل مؤمن يريد الله وصل إلى انتهاء المقام، والله الهادي.



### المقالة الثالثة والسبعون

## في قسم من الأولياء قد يطلعه الله على عيوب غيرهم

قال عليه السلام: قد يُطلع الله تعالى وليه على عيوب غيره وكذبه ودعوته وشركه في أفعاله وأقواله وإضماره ونيتته، فيغار ولي الله لربه ولرسوله ودينه فيشتد غضب باطنه ثم ظاهره حاضراً وغائباً، كيف يدعى السلامة مع العلل والأوجاع الباطنة والظاهرة؟ وكيف يدعى التوحيد مع الشرك، والشرك كفر وبعد عن قرب الله وهو صفة العدو والشیطان اللعين، والمنافقين المقطوع لهم بالدرك الأسفل من النار والخلود فيها فيجرى على لسان الولي ذكر عيوبه وأفعاله الخبيثة ووقاحته بعريض دعاويه أحوال الصديقين ومزاحمته للفانين في قدر الله وفعله، والمراد من على وجه الغيرة لله عز وجل، مرة على وجه الإنكار له والموعظة له أخرى، وعلى وجه الغلبة بفعل الله عز وجل وإرادته وشدة غضبه على الكذب أخرى فيضاف إلى الله عز وجل غيبة، فيقال أیغتاب الولي وهو يمنع منها أو يذكر الغائب والحاضر بما يظهر عند الخواص والعوام؟ فيصير ذلك الإنكار في حقهم كما قال الله عز وجل: ﴿وَأَتْمُمْنَاهُمْ أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ البقرة ٢١٩، في الظاهر إنكار المنكر وفي الباطن إسقاط الرب والاعتراض عليه فيصير حاله الخيرة، فيكون فرضه فيها السكوت والتسليم وطلب المساعي لذلك في الشرع، والجواز لا الاعتراض على الرب والولي يطعنان لافتراءه وكذبه، وقد يكون ذلك سبباً لإقلاعه وتوبته ورجوعه عن جهله وحيرته، فيكون كرهاً للولي نفعاً للمغرور الهالك بغروره ورعونته. ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ البقرة ٢١٣.

## المقالة الرابعة والسبعون

### فما ينبغي للعاقل أن يستدل به على وحدانية الله تعالى

قال عليه السلام: أول ما ينظر العاقل في صفة نفسه وتركيبه ثم في جميع المخلوقات والمبدعات فيستدل بذلك على خالقها ومبدعها، لأن فيه دلالة على الصانع وفي القدرة المحكمة آية على الحكيم، فإن الأشياء كلها موجودة به.

وفي معناه ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ الجمانية ١٣، فقال في كل شيء اسم من أسمائه واسم كل شيء من اسمه، فإنما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله، باطن بقدرته وظاهر بحكمته، ظهر بصفاته وبطن بذاته حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال، وكشف العلم بالإرادة وأظهر الإرادة بالحركات، وأخفى الصنع والصنعة وأظهر الصنعة بالإرادة، فهو باطن في غيبه وظاهر في حكمته وقدرته ﴿كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى ١١.

ولقد أظهر في هذا الكلام من أسرار المعرفة ما لا يظهر إلا من مشكاة فيها مصباح، أمره برفع يد العصمة اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، أنالنا الله تعالى بركاتهم وحشرنا في زميرهم وحرمتهم آمين.





## المقالة الخامسة والسبعون

### في التصوف وعلى أى شئ مبناه

قال عليه السلام: أوصيك بتقوى الله وطاعته، ولزوم ظاهر الشرع وسلامة الصدر، وسخاء النفس، وبشاشة الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى، وتحمل الأذى والفقر، وحفظ حرمت المشايخ والعشرة مع الإخوان، والنصيحة للأصاغر والأكابر، وترك الخصومة، والإرفاق، وملازمة الإيثار ومجانبة الادخار، وترك صحبة من ليس من طبقتهم، والمعاونة في أمر الدين والدنيا.

وحقيقة الفقر أن لا تفتقر على من هو مثلك و حقيقة الغنى أن تستغنى عن من هو مثلك.

والتصوف ليس أخذ عن القليل والقال، ولكن أخذ عن الجوع وقطع المألوفات والمستحسنات، ولا تبدء الفقير بالعلم وإبدائه بالرفق، فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه.

والتصوف مبنى على ثمان خصال:

- ❖ السخاء لسيدنا إبراهيم عليه السلام.
- ❖ الرضا لسيدنا إسحاق عليه السلام.
- ❖ الصبر لسيدنا أيوب عليه السلام.
- ❖ الإشارة لسيدنا زكريا عليه السلام.
- ❖ الغربة لسيدنا يحيى عليه السلام.
- ❖ التصوف لسيدنا موسى عليه السلام.
- ❖ السياحة لسيدنا عيسى عليه السلام.
- ❖ الفقر لسيدنا محمد عليه السلام وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وآل كل وصحب كل وسلم أجمعين.



## المقالة السادسة والسبعون

### في الوصية

قال ﷺ: أوصيك أن تصحب الأغنياء بالتعزز، والفقراء بالتذلل، وعليك بالتذلل والإخلاص، وهو دوام رؤية الخالق، ولا تتهم الله في الأسباب واستكن إليه في جميع الأحوال، ولا تضع حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه من المودة.

وعليك بصحبة الفقراء بالتواضع وحسن الأدب والسخاء، وأمت نفسك حتى تحيي، وأقرب الخلق من الله تعالى أوسعهم خلقاً، وأفضل الأعمال: رعاية السر عن الالتفات إلى ما سوى الله تعالى.

والصولة بالحق والصبر، وحسبك من الدنيا شيئان: صحبة فقير وخدمة ولي، والفقير هو الذي لا يستغنى بشئ دون الله تعالى.

والصولة على من هو دونك ضعف، وعلى من هو فوقك فخر، وعلى من هو مثلك سوء خلق.

والفقر والتصوف جدان فلا تخلطهما بشئ من الهزل، وفقنا الله وإياكم والمسلمين آمين.

يا ولي عليك بذكر الله في كل حال فإنه للخير جامع. وعليك بالاعتصام بحبل الله فإنه للمضار دافع. وعليك بالتأهب لتلقى موارد القضاء فإنه واقع.

وأعلم أنك مسئول عن حركاتك وسكناتك، فاشتغل بما هو أولى في الوقت وإياك وفضول تصرفات الجوارح.

وعليك بطاعة الله ورسوله ومن والاه وأد إليه حقه ولا تطالبه بما يجب عليه، وادع في كل حال.

وعليك بحسن الظن في المسلمين وإصلاح النية لهم، وتسعى بينهم في كل خير، وأن لا

تبيت ولأحد في قلبك شر ولا شحناء ولا بغض، وأن تدعو لمن ظلمك، وراقب الله عز وجل.  
وعليك بأكل الحلال، والسؤال لأهل العلم بالله فيما لا تعلم، وعليك بالحياء من الله سبحانه  
وتعالى.

واجعل صحبتك مع من الله معه واصحب من سوى الله بصحبته، وتصديق في كل صباح  
بقرصك وإذا أمسيت فصل صلاة الجنابة على كل من مات من المسلمين في ذلك اليوم وإذا  
صليت المغرب فصلاة الاستخارة وتقول بكرة وعشياً سبع مرات (اللهم أجرننا من النار)  
وحافظ على قول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ  
الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ  
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿الحشر ٢٢ إلى آخر السورة، والله  
الموفق والمعين، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

\*\*\*

## المقالة السابعة والسبعون

### في الوقوف مع الله والفناء عن الخلق

قال عليه السلام: كن مع الله عز وجل كأن لا خلق، ومع الخلق كأن لا نفس، فإذا كنت مع الله عز  
وجل بلا خلق وجدت، وعن الكل فنيت. وإذا كنت مع الخلق بلا نفس عدلت وبقيت ومن  
التبعات سلمت، وأترك الكل على باب خلوتك، وأدخل وحدك تر مؤنسك في خلوتك بعين  
سرك، وتشاهد ما وراء العيان، وتزول النفس ويأتي مكانها أمر الله وقربه، فإذا جهلك علم،  
وبعدك قرب، وصمتك ذكر، ووحشتك أنس.

يا هذا: ما ثم إلا خلق وخالق، فإذا اخترت الخالق فقل لهم: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ  
الْعَالَمِينَ﴾ الشعراء ٧٧ .

ثم قال ﷺ: من ذاق عرف، فقليل له: من غلبت عليه مرارة صفرته كيف يجد حلاوة الذوق؟ فقال: يتعمل في الشهوات من قبله بقصد وتكلف.

يا هذا: المؤمن إذا عمل صالحاً انقلبت نفسه قلباً وأدرك مدركات القلب، ثم انقلب قلبه سرّاً، ثم انقلب الفناء فصار وجوداً وبقاء.

ثم قال ﷺ: الأحباب يسعهم كل باب.

يا هذا: الفناء إعدام الخلائق، وانقلاب طبعك عن طبع الملائكة، ثم الفناء عن طبع الملائكة، ثم لحوقك بالمنهاج الأول، وحينئذ يسقيك ربك ما يسقيك، ويزرع فيك ما يزرع، إن أردت هذا فعليك بالإسلام، ثم الاستسلام، ثم العلم بالله ثم المعرفة ثم الوجود. وإذا كان وجودك له كان كلك له.

الزهد عمل ساعة، والورع عمل ساعتين، والمعرفة عمل الأبد.

\*\*\*

### المقالة الثامنة والسبعون

## في أهل المجاهدة والمحاسبة وأولى العزم وبيان خصالهم

قال ﷺ: لأهل المجاهدة والمحاسبة وأولى العزم عشر خصال جربوها، فإذا أقاموها وأحكموها بإذن الله تعال وصلوا إلى المنازل الشريفة:

الأولى أن لا يحلف بالله عز وجل صادقاً ولا كاذباً عامداً ولا ساهياً، لأنه إذا أحكم ذلك من نفسه وعود لسانه رفعه ذلك إلى ترك الحلف ساهياً وعامداً، فإذا اعتاد ذلك فتح الله له باب من أنواره يعرف منفعة ذلك في قلبه، ورفعته في درجة وقوة في عزمه وفي صبره والثناء عند الإخوان، والكرامة عند الجيران حتى يهتم به من يعرفه ويهابه من يراه.

الثانية يجتنب الكذب لا هازلاً ولا جاداً، لأنه إذا فعل ذلك وأحكمه من نفسه واعتاده

لسانه شرح الله تعالى به صدره وصفا به علمه، كأنه لا يعرف الكذب، وإذا سمعه من غيره عاب ذلك عليه وعيره به في نفسه، وإن دعا له بزوال ذلك كان له ثواب.

الثالثة أن يحذر أن يعد أحداً شيئاً فيخلفه، ويقطع العدة البتة فإنه أقوى لأمره وأقصد بطريقه، لأن الخلف من الكذب فإذا فعل ذلك فتح له باب السخاء ودرجة الحياء وأعطى مودة في الصادقين ورفعته عند الله جل ثناؤه.

الرابعة أن يجتنب أن يلعن شيئاً من الخلق، أو يؤذى ذرة فما فوقها، لأنها من أخلاق الأبرار والصادقين، وله عاقبة حسنة في حفظ الله تعالى في الدنيا مع ما يدخر له من الدرجات، ويستنقذ من مصارع الهلاك، ويسلمه من الخلق، ويرزقه رحمة العباد، ويقربه منه عز وجل.

الخامسة أن يجتنب الدعاء على أحد من الخلق وإن ظلمه فلا يقطعه بلسانه، ولا يكافئه بقول ولا فعل، فإن هذه الخصلة ترفع صاحبها إلى الدرجات العلى. وإذا تأدب بها ينال منزلة شريفة في الدنيا والآخرة، والمحبة والمودة في قلوب الخلق أجمعين من قريب وبعيد، وإجابة الدعوة والغلو في الخلق، وعز في الدنيا في قلوب المؤمنين.

السادسة أن لا يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرك ولا كفر ولا نفاق، فإنه أقرب للرحمة، وأعلى في الدرجة وهي تمام السنة، وأبعد عن الدخول في علم الله، وأبعد من مقت الله وأقرب إلى رضا الله تعالى ورحمته، فإنه باب شريف كريم على الله تعالى يورث العبد الرحمة للخلق أجمعين.

السابعة أن يجتنب النظر إلى المعاصي وكيف عنها جوارحه، فإن ذلك من أسرع الأعمال ثواباً في القلب والجوارح في عاجل الدنيا، مع ما يدخره الله له من خير الآخرة. نسأل الله أن يمن علينا أجمعين ويعلمنا بهذه الخصال، وأن يخرج شهواتنا عن قلوبنا.

الثامنة يجتنب أن يجعل على أحد من الخلق منه مؤنة صغيرة ولا كبيرة، بل يرفع مؤنته عن الخلق أجمعين مما احتاج إليه واستغنى عنه، فإن ذلك تمام عزة العابدين وشرف المتقين، وبه يقوى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون الخلق عنده أجمعين بمنزلة واحدة، فإذا

كان كذلك نقله الله إلى الغناء واليقين والثقة به عز وجل، ولا يرفع أحداً سواه، وتكون الخلق عنده في الحق سواء، ويقطع بأن هذه الأسباب عز المؤمنين وشرف المتقين، وهو أقرب باب للإخلاص.

التاسعة ينبغي له أن يقطع طعمه من الآدميين، ولا يطمع نفسه فيما في أيديهم، فإنه العز الأكبر، والغنى الخاص، والملك العظيم، والفخر الجليل، واليقين الصافي، والتوكل الشافي الصريح وهو باب من أبواب الثقة بالله عز وجل، وهو باب من أبواب الزهد، وبه ينال الورع ويكمل نسكه، وهو من علامات المنقطعين إلى الله عز وجل.

العاشرة التواضع لأنه به يشيد محل العابد وتعلو منزلته، ويستكمل العز والرفعة عند الله سبحانه وعند الخلق، ويقدر على ما يريد من أمر الدنيا والآخرة وهذه الخصلة أصل الخصال وكلها وفرعها وكمالها، وبها يدرك العبد منازل الصالحين الراضين من الله تعالى في السراء والضراء وهي كمال التقوى.

والتواضع هو أن لا يلقي العبد أحداً من الناس إلا رأى له الفضل عليه، ويقول عسى أن يكون عند الله خيراً مني وأرفع درجة، فإن كان صغيراً قال هذا لم يعص الله تعالى وأنا قد عصيت فلا شك أنه خير مني، وإن كان كبيراً قال هذا عبد الله قبلي، وإن كان عالماً هذا أعطي ما لم أبلغ، ونال ما لم أنل، وعلم ما جهلت، وهو يعمل بعلمه وإن كان جاهلاً قال هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم، ولا أدري بما يختم لي وبما يختم له، وإن كان كافراً قال لا أدري عسى أن يسلم فيختم له بخير العمل، وعسى أن أكفر فيختم لي بسوء العمل، وهذا باب الشفقة والوجل، وأولى ما يصحب وآخر ما يبقى على العباد، فإذا كان العبد كذلك سلمه الله تعالى من الغوائل، وبلغ به منازل النصيحة لله عز وجل وكان من أصفياء الرحمن وأحبائه، وكان من أعداء إبليس عدو الله لعنه الله، وهو باب الرحمة ومع ذلك يكون قطع باب الكبر وجبال العجب، ورفض درجة العلو في نفسه في الدين والدنيا والآخرة، وهو مخ العبادة، وغاية شرف الزاهدين، وسيا الناسكين، فلا شيء منه فضل، ومع ذلك يقطع لسانه عن ذكر العالمين وما لا يعنى، فلا يتم له عمل إلا به، ويخرج الغل والكبر والبغي من قلبه في جميع

أحواله، وكان لسانه فى السر والعلانية واحداً، ومشىئته فى السر والعلانية واحدة، وكلامه كذلك، والخلق عنده فى النصيحة واحد، ولا يكون من الناصحين وهو يذكر أحداً من خلق الله بسوء أو يعيره بفعل، أو يجب أن يذكره عنده واحداً بسوء. وهذه آفة العابدين، وعطب النساك وهلاك الزاهدين إلا من أعانه الله تعالى وحفظ لسانه وقلبه برحمته وفضله وإحسانه.

تمت بعون الله مقالات سيدى الغوث الأعظم

قدس الله سره





## تكملة في ذكر وصاياه لأولاده قدست أسرارهم وبعض مقالات نافعة أوردتها ومرضه ووفاته رحمته الله

انه رحمته الله لما مرض مرضه الذى مات فيه وقال له ابنه عبد الوهاب قدس سره، أوصنى يا سيدى بما أعمل به بعدك، فقال رضى الله تعالى عنه وأرضاه: عليك بتقوى الله عز وجل، ولا تخف أحداً سوى الله، ولا ترج أحداً سوى الله، وكل الحوائج إلى الله عز وجل، ولا تعتمد إلا عليه، واطلبها جميعاً منه تعالى، ولا تتكل على أحد غير الله سبحانه، التوحيد التوحيد جماع الكل.

وقال رحمته الله: إذا صح القلب مع الله عز وجل لا يخلو منه شئ ولا يخرج منه شئ.

وقال رحمته الله: أنا لب بلا قشر.

وقال رحمته الله لأولاده: أبعثوا من حولى فإنى معكم بالظاهر ومع غيركم بالباطن.

وقال رحمته الله: قد حضر عندى غيركم فأوسعوا لهم وتأدبوا معهم، هاهنا رحمة عظيمة، ولا تضيقوا عليهم المكان.

وكان رحمته الله يقول: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، غفر الله لى ولكم، تاب الله على وعليكم، بسم الله غير مودعين. قال ذلك يوماً وليلة.

وقال رحمته الله: ويلكم أن لا أبالى بشئ، لا بملك ولا بملك الموت، منح لنا من يتولانا سواك، وصاح صيحة عظيمة وذلك فى اليوم الذى مات فى عشيته رضى الله تعالى عنه.

وأخبر ولداه الشيخ عبد الرزاق والشيخ موسى قدست أسرارهما أن حضرة الغوث رضى الله تعالى عنه كان يرفع يديه ويمدها ويقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، توبوا وادخلوا فى الصف إذا جئ إليكم.

وكان ﷺ يقول: أوقفوا، ثم أتاه الحق وسكرة الموت.

وقال ﷺ: بينى وبينكم وبين الخلق كلهم بعد ما بين السماء والأرض، فلا تقيسوني بأحد ولا تقيسوننا على أحد، ثم سأله ولده الشيخ عبد العزيز قدس سره عن ألمه وحاله فقال ﷺ: لا يسألني أحد عن شيء، أنا أتقلب في علم الله عز وجل.

وقال ﷺ وقد سأله ولده الشيخ عبد العزيز قدس سره أيضاً عن مرضه فقال: إن مرضى لا يعلمه أحد ولا يعقله أحد إنس ولا جن ولا ملك، ما ينقص علم الله بحكم الله، الحكم يتغير والعلم لا يتغير ﴿يَخُوضُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الرعد ٣٩، و﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ الأنبياء ٢٣، أخبار الصفات تمر كما جاءت.

وسأله ولده الشيخ عبد الجبار قدس سره: ماذا يؤلمك في جسمك؟ فقال ﷺ: جميع أعضائي تؤلمني إلا قلبي فما به ألم وهو مع الله عز وجل، ثم أتاه الموت، فكان رضى الله تعالى عنه يقول: استعنت بلا إله إلا الله سبحانه وتعالى، والحي الذى لا يخشى الموت، سبحانه من تعزز بالقدرة وقهر عباده بالموت، لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وأخبر ولده الشيخ موسى قدس سره أنه قال: لما قربت وفاة حضرة الشيخ رضى الله تعالى عنه وأرضاه كان يقول: تعزز ولم يؤدها على الصحة فما زال يكررها حتى إذا قال تعزز ومد بها صوته وشدها حتى صاح لسانه، ثم قال الله الله الله، ثم خفى صوته ولسانه ملتصق بسقف حلقه، ثم خرجت روحه الكريمة رضوان الله تعالى عليه.



## في بيان تاريخ وفاته وولادته وكم له من العمر حين دخل بغداد وكم عاش قدس الله سره ورضي عنه

فأما ولادته عليه السلام ففي عام أربعمئة وسبعين، وأما وفاته رضي الله تعالى عنه وأرضاه في عام خمسمئة واحد وستين، وأما عمره رضي الله تعالى عنه وأرضاه فأحد وتسعون سنة ودخل بغداد وله من العمر ثمانية عشر سنة والله در بعضهم حيث جمع ذلك كله يعنى تاريخ الولادة والوفاة والعمر في بيت مفرد حيث قال:

إن باز الله سلطان الرجال      جاء في عشق ومات في كمال

فعلى هذا كلمة (عشق) عددها بالجمال أربعمئة وسبعين فهو تاريخ الولادة، وكلمة (كمال) أحد وتسعون فهو قدر العمر، وإذا ضمينا كلمة (عشق) مع كلمة (كمال) يكون الحاصل من العدد خمسمئة وأحد وستون فهو تاريخ الوفاة.

كذا حققه في "البهجة" و"قلائد الجواهر" و"نزهة الخواطر" والله أعلم



## الفهرست

٥	.....	مقدمة المؤلف	المقالة ١
٧	.....	فيما لا بد لكل مؤمن	المقالة ٢
٧	.....	في التواصي بالخير	المقالة ٣
٨	.....	في الابتلاء	المقالة ٤
٩	.....	في الموت المعنوى	المقالة ٥
٩	.....	في بيان الدنيا والحث على عدم الالتفات إليها	المقالة ٦
١٠	.....	في الفناء عن الخلق	المقالة ٧
١٢	.....	في إذهاب غم القلب	المقالة ٨
١٤	.....	في التقرب إلى الله	المقالة ٩
١٥	.....	في الكشف والمشاهدة	المقالة ١٠
١٦	.....	في النفس وأحوالها	

## المقالة ١١

١٨ ..... في الشهوة

## المقالة ١٢

١٩ ..... في النهى عن حب المال

## المقالة ١٣

١٩ ..... في التسليم لأمر الله

## المقالة ١٤

٢٢ ..... في إتباع أحوال القوم

## المقالة ١٥

٢٢ ..... في الخوف والرجاء

## المقالة ١٦

٢٣ ..... في التوكل ومقاماته

## المقالة ١٧

٢٤ ..... في كيفية الوصول إلى الله بواسطة المرشد

## المقالة ١٨

٢٦ ..... في النهى عن الشكوى

## المقالة ١٩

٢٨ ..... في الأمر بوفاء العهد والنهى عن خلفه

## المقالة ٢٠

٢٩ ..... في قوله ﷺ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك

## المقالة ٢١

٣٠ ..... في مكالمة إبليس نعوذ بالله منه

## المقالة ٢٢

٣٠ ..... في ابتلاء المؤمن على قدر إيمانه

## المقالة ٢٣

٣٢ ..... في الرضا بما قسم الله تعالى

## المقالة ٢٤

٣٣ ..... في الحث على ملازمة باب الله تعالى

## المقالة ٢٥

٣٤ ..... في شجرة الإيمان

## المقالة ٢٦

٣٥ ..... في النهي عن كشف البرقع عن الوجه

## المقالة ٢٧

٣٧ ..... في أن الخير والشر ثمرتان

## المقالة ٢٨

٤٠ ..... في تفصيل أحوال المريد

## المقالة ٢٩

٤١ ..... في قوله ﷺ كاد الفقر أن يكون كفراً

## المقالة ٣٠

٤٢ ..... في النهي عن قول الرجل أى شىء أعمل وما الحيلة

## المقالة ٣١

٤٣ ..... في البغض في الله

## المقالة ٣٢

٤٣ ..... في عدم المشاركة في محبة الحق

## المقالة ٣٣

٤٤ ..... في تقسيم الرجال إلى أربعة أقسام

## المقالة ٣٤

٤٦ ..... في النهي عن السخط على الله تعالى

## المقالة ٣٥

٤٨ ..... في الورع

## المقالة ٣٦

٤٩ ..... في بيان الدنيا والآخرة وما ينبغي أن يعمل فيها

## المقالة ٣٧

٥١ ..... في ذم الحسد والأمر بتركه

## المقالة ٣٨

٥٢ ..... في الصدق والنصيحة

## المقالة ٣٩

٥٣ ..... في تفسير الشقاق والوفاق والنفاق

## المقالة ٤٠

٥٣ ..... في متى يصح للسالك أن يكون في زمرة الروحانيين

## المقالة ٤١

٥٤ ..... مثل في الفناء وكيفيته

## المقالة ٤٢

٥٥ ..... في بيان حالتي النفس

## المقالة ٤٣

٥٧ ..... في ذم السؤال من غير الله تعالى

## المقالة ٤٤

٥٧ ..... في سبب عدم استجابة دعاء العارف بالله تعالى

## المقالة ٤٥

٥٨ ..... في النعمة والابتلاء



## المقالة ٤٦

٦١ ..... في قوله عز وجل في الحديث القدسي (من شغله ذكرى) إلى آخره

## المقالة ٤٧

٦٢ ..... في التقرب إلى الله تعالى

## المقالة ٤٨

٦٢ ..... في ما ينبغي للمؤمن أن يشتغل به

## المقالة ٤٩

٦٣ ..... في ذم النوم

## المقالة ٥٠

٦٣ ..... في علاج دفع البعد عن الله تعالى وبيان كيفية التقرب منه تعالى

## المقالة ٥١

٦٤ ..... في الزهد

## المقالة ٥٢

٦٥ ..... في سبب ابتلاء طائفة من المؤمنين

## المقالة ٥٣

٦٦ ..... في الأمر بطلب الرضا من الله والفناء به تعالى

## المقالة ٥٤

٦٧ ..... في من أراد الوصول إلى الله تعالى وبيان كيفية الوصول إليه تعالى

## المقالة ٥٥

٦٨ ..... في ترك المحظوظ

## المقالة ٥٦

٧٠ ..... في فناء العبد عن الخلق والهوى والنفس والإرادة والأمانى

## المقالة ٥٧

٧١ ..... فى عدم المنازعة فى القدر والأمر بحفظ الرضا به

## المقالة ٥٨

٧٢ ..... فى صرف النظر عن كل الجهات وطلب جهة فضل الله تعالى

## المقالة ٥٩

٧٣ ..... فى الرضا على البلية والشكر على النعمة

## المقالة ٦٠

٧٥ ..... فى البداية والنهاية

## المقالة ٦١

٧٦ ..... فى التوقف عند كل شئ حتى يتبين له إباحة فعله

## المقالة ٦٢

٧٧ ..... فى المحبة والمحبوب وما يجب فى حقها

## المقالة ٦٣

٧٨ ..... فى نوع من المعرفة

## المقالة ٦٤

٧٨ ..... فى الموت الذى لا حياة فيه والحياة التى لا موت فيها

## المقالة ٦٥

٧٩ ..... فى النهى عن التسخط على الله فى تأخير إجابة الدعاء

## المقالة ٦٦

٨٠ ..... فى الأمر بالدعاء والنهى عن تركه

## المقالة ٦٧

٨١ ..... فى جهاد النفس وتفصيل كيفيته

## المقالة ٦٨

٨٢ ..... في قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾

## المقالة ٦٩

٨٣ ..... في الأمر بطلب المغفرة والعصمة والتوفيق والرضا والصبر من الله تعالى

## المقالة ٧٠

٨٤ ..... في الشكر والاعتراف بالتقصير

## المقالة ٧١

٨٥ ..... في المرید والمراد

## المقالة ٧٢

٨٧ ..... فيمن إذا دخل الأسواق ومال إلى ما فيها ومن إذا دخلها وصبر

## المقالة ٧٣

٨٨ ..... في قسم من الأولياء قد يطلعه الله على عيوب غيرهم

## المقالة ٧٤

٨٩ ..... فيما ينبغي للعاقل أن يستدل به على وحدانية الله تعالى

## المقالة ٧٥

٩٠ ..... في التصوف وعلى أى شئ مبناه

## المقالة ٧٦

٩١ ..... في الوصية

## المقالة ٧٧

٩٢ ..... في الوقوف مع الله والفناء عن الخلق

## المقالة ٧٨

٩٣ ..... في أهل المجاهدة والمحاسبة وأولى العزم وبيان خصالهم

تكملة في ذكر وصاياه لأولاده قدست أسرارهم وبعض مقالات نافعة أوردتها ومرضه  
ووفاته ..... ٩٧

في بيان تاريخ وفاته وولادته وكم له من العمر حين دخل بغداد وكم عاش قدس الله سره  
ورضى عنه ..... ٩٩

الفهرست ..... ١٠٠

